كيف تكون

رجلاً بأمَّة

دليلك للتغيير الفعال

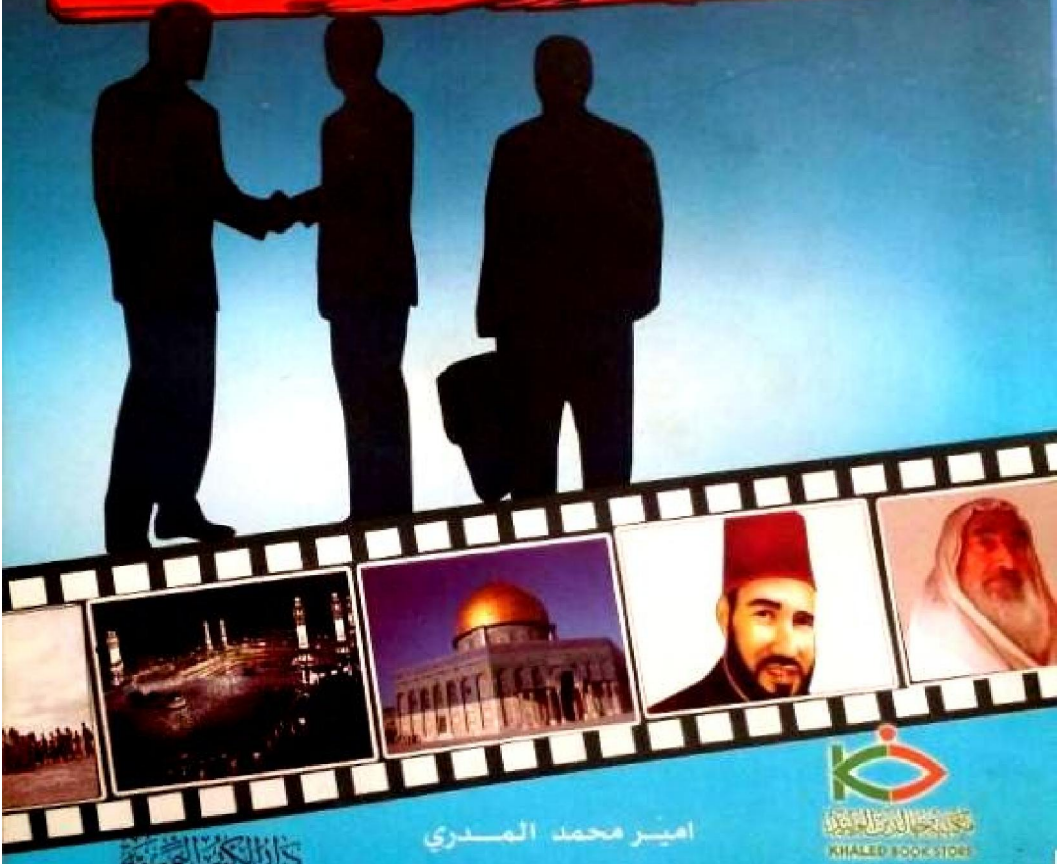

امير محمد المدري

مكتبة خالد للكتب والتوزيع
KHALED BOOK STORE
صنعاء

دار الكتب اليمنية
صنعاء

كيف تكون رجلاً بأمة

كيف تكون رجلاً بأُمَّة

إعداد

أَمير بن مُحمَّد المَدَرِي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع (٨٩٠)

لعام ٢٠١٠م

المركز الرئيسي صنعاء - شارع العدل
تلفاكس : (٢٢٤٦٩٤)
ت : (٢٢٧٨٥٥) ص . ب : (٢٣٧٠)
القرطاسية : (٢٧٠٩٦١)

دار الكتب اليمنية
للطباعة والنشر والتوزيع
صنعاء الدائري الغربي - جولة القادسية
تلفون: (٢١٥٢٤٣)
فاكس: (٢١٥٣٢٣)

فرع عدن كريتر - الميدان - تحت فندق العامر فرزة الشيخ عثمان ت : (٠٢/٢٦٥٧٠٦)
مركز خالد بن الوليد - الدائري الغربي - تقاطع شارع الرباط ت : (٢١٥٦٩٩)

فرع شميلة - جوار برافو سنتر - ت: (٦١٧٦٦١) .

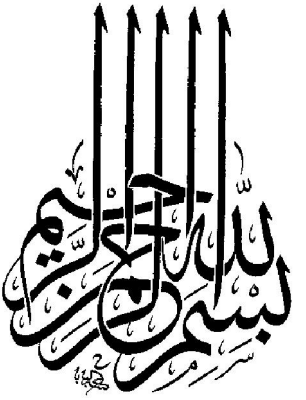
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ٧
المقدمة ١٣
المقصود بالرجولة ١٦
الرجل في اللغة: ١٦
الرجولة في الاصطلاح: ١٧
الرجولة ٢١
الرجال ٢٧
أهمية الرجولة في حياة الأمة ٣٠
الرجولة كلمة حق تقال ٣٧
الرجولة في الإسلام ٤٤
الرجولة في القرآن ٥٣
صفات الرجال في القرآن ٥٦
أولاً: الطهارة: ٥٦
ثانياً: قلوبهم معلقة في المساجد: ٦٤
ثالثاً: الخشيةُ من الله: ٦٥

رابعاً: إقامة الصلاة: ٦٦
خامساً: إيتاء الزكاة: ٦٨
سادساً: الوفاء بالعهد والميثاق: ٧٠
سابعاً: القوامة وحسن التوجيه لبيوتهم وذويهم: ٧٥
صفات الرجال في السنة وأقوال السلف ٧٨
١ - القيام بالفرائض: ٧٨
٢ - الصلاح: ٧٨
٣- الصبر على الشدائد: ٧٨
٤ - الثبات: ٨٠
٥ - الأمانة والقناعة والحكمة: ٨١
٦ - السماحة: ٨١
٧- قيام الليل: ٨٢
٨ـ مغالبة الهوى: ٨٣
سن الرجولة ٨٧
مقومات الرجولة ٨٩
أولاً: الإرادة القوية: ٨٩
ثانياً: الهمة العالية: ٩١
ثالثاً: النخوة والعزة والإباء: ٩٤

رابعاً: الإخلاص في القول والعمل: ٩٤
خامساً: التضحية والفداء: ٩٦
سادساً: الثبات وقت المحن: ٩٨
عوامل ضياع الرجولة ١٠٠
أولاً: الكفر بالله: ١٠٠
ثانياً: الاستعانة بغير الله ﷻ: ١٠٢
ثالثاً: قطع السبيل: ١٠٣
رابعاً: إتيان المنكرات: ١٠٥
خامساً: انقلاب الموازين في مجال الرجولة: ١٠٧
سادساً: إذا أصبح الكذب رجولة: ١٠٨
الرجولة والنبوة ١٠٩
الرجولة وعلامات الساعة ١١٤
أمور ليست من الرجولة ١١٦
علِّمني يا أبت الرجولة ١٢٣
١- التكنية: ١٢٣
٢-أخذه للمجامع: ١٢٤
٣- قصص السلف: ١٢٤
٤- الأدب: ١٢٥

٥- الاحترام والتقدير: ١٢٥
٦- الرياضة: ١٢٦
٧-البعد عن الميوعة: ١٢٦
٨- عدم الإهانة: ١٢٦
٩-تعليمه الجرأة: ١٢٨
١٠-الحشمة: ١٢٨
١١- البعد عن الترف: ١٢٨
١٢- البعد عن مجالس اللهو: ١٢٩
المرأة والرجولة ١٣٠
سمات الرجولة ١٤١
المبحث الأول رجال المساجد ١٤١
تأملات في آية النور في سورة النور: ١٤١
الفرق بين رجال المساجد ورواد محاضن الفساد: ١٥٥
أهمية المسجد في تخريج الرجال: ١٥٩
المبحث الثاني القوامة على الأسرة ١٦١
انعدام غيرته على أهله: ١٦٢
المبحث الثالث الدعوة إلى الله ١٦٤
المبحث الرابع الدفاع عن أولياء الله ١٦٩

المبحث الخامس الثبات عند الفتن ١٧٣
من مواقف الرجال ١٧٦
عمر بن الخطاب: ١٧٦
العز بن عبد السلام (سلطان العلماء): ١٧٨
محمد الفاتح: ١٨٤
سيد قطب (صاحب الظلال): ١٨٧
أطفال الحجارة: ١٩١
فقيه الأدباء وأديب الفقهاء: ١٩٥
حسن البنا..... رجل أيقظ أمة: ١٩٨
نور الدين محمود زنكي:..... ٢٠٨
عبد الرحمن السميط (خادم فقراء أفريقيا): ٢١٩
الشيخ الشهيد أحمد ياسين(١٩٣٨-٢٠٠٤م): ٢٢٨
مهندس مسلم يسلم على يديه أربعة آلاف في الغرب[٥]:..... ٢٣٦
قبل الوداع ٢٤١
المصادر والمراجع ٢٤٤

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله المبعوث بالرحمة والهدى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الرجولة مطلب يسعى للتجّمل بخصائصها أصحاب الهمم، ويسمو بمعانيها الرجال الجادون، وهي صفة أساسية ،فالناس إذا فقدوا أخلاق الرجولة صاروا أشباه الرجال، غثاءً كغثاء السيل.

ولقد كان النبي ﷺ يتطلع إلى معالم الرجولة التي تؤثر في نشر الدعوة وإعزاز الإسلام، فكان إسلام عمر حدثاً كبيراً وُجدت رجولته في اللحظة الأولى من إسلامه، فبعد أن كان المسلمون لا يجرؤون على الجهر بدينهم جهروا به، قال ابن مسعود رضي الله عنه : «ما زلنا أعزّة منذ أسلم

عمر»[١]، فلم تكن رجولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوة بدنه ولا في فروسيته، ففي قريش من هو أقوى منه ولكن رجولته كانت في إيمانه القوي ونفسه الكبيرة التي تبعث على التقدير والإكبار. هاجر الصحابة خُفيةً، أمّا عمرُ فقد تَقَلّدَ سيفه ومضى إلى الكعبةِ فطاف وصَلّى بالمقام وأعلن هجرته على الملأ وقال لهم: «من أراد أن تثكله أمُّه، ويُيَتم ولده، وتُرمّل زوجته، فليتبعني وراء هذا الوادي »،فما تبعه منهم أحد. إنها الرجولة الحقة بكل معانيها.

هذه الرجولة التي ضاعت مضامينها اليوم، وفقدت أركانها عند الكثيرين، فصاروا أشباه الرجال ولا رجال.

هذه الرجولة نحتاج لنتعرف الى صفاتها ومميزاتها.

وحين سخط أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أهل البصرة لما خذلوه قال لهم: يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم!![٢].

لقد ذمهم بنقصان الرجولة، ووصفهم بأنهم (أشباه الرجال)!!

إن هذا كله يشعرنا بأن الجميع يبحث عن رجل... والكل يشكو

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) نهج البلاغة ١/ ٧٠ .

غياب هذا الرجل... والكل يريد هذه العملة النادرة فلا يكاد يجدها!!

فالأمة اليوم بحاجة إلى رجال يحملون الدين وهمّ الدين ويسعون جادّين لخدمة دينهم وأوطانهم شعارهم ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب:٢٣]

ومن هنا جاءت أهمية الكلام والكتابة عن الرجال وصفاتهم ومميزاتهم فكان هذا البحث المتواضع الذي أسأل الله ﷻ أن ينتفع به كل مسلم يسعى ليكون ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

إعداد / أمير بن محمد المدري

اليمن - عمران

Almadari_1@hotmail.com

المقصود بالرجولة

الرجل في اللغة:

الرَّجُل، بضم الجيم، فتخص الذكر من الناس إذا احتلم ووصل إلى سن البلوغ، أو هو رجلٌ ساعة ولادته وتصغيره رُجَيْل، ورويجل، ويُجمع على رجال ورجالات، ويُقال للمرأة المتشبهة بالرجل رَجْلَة، ويقال فلان أرجل الرجلين إذا اكتملت الرجولة عنده وكانت صفته[١].

وفي تاج العروس[٢] «الرجل بضم الجيم وسكون الأخيرة وهو الذكر من نوع الإنسان يختص به، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام:٩] وقد يكون الرجل صفة يعني به الشدة والكمال ويقال للمرأة رجلة إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها. قلت: ويؤيده الحديث: أن عائشة رضي الله عنها كانت رجلة الرأي أي كان رأيها رأي الرجال. وترجلت المرأة: صارت كالرجل في بعض أحوالها».

وفي «أساس البلاغة» لجار الله الزمخشري: «هذا رجل أي كامل في الرجال بين الرجولة والرجولية، وهذا أرجل الرجلين، وهو من رجالات قريش: من أشرافهم .....»[٣].

---

(١) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص ٩٠٣، وأيضاً تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص ٣٥٠، ٣٥١.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس-محمد الزبيدي باب ر ج ل.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ١/ ٣٢٥، ٣٢٦.

الرجولة في الاصطلاح:

اختلف الناس في تفسير معنى الرجولة فمنهم من يفسرها بالقوة والشجاعة، ومنهم من يفسرها بالزعامة والقيادة والحزم، ومنهم من يُفسّر الرجولة بالكرم وتضييف الضيوف، ومنهم يقيسها بمدى تحصيل المال والاشتغال بجمعه، ومنهم من يظنها حمية وعصبية جهلاء، ومنهم من يفسرها بالبروز في المواقف الحرجة والأزمات لمد يد العون، ومنهم من يفسرها ببذل الجاه والشفاعة وتخليص مهام الناس بأي الطرق كانت.

فحدث إفراط في استعمال هذه الكلمة العظيمة، والحقيقة أن الرجولة تحمل شيئاً من بعض تلك المعاني لكنها بالتأكيد ليست بالمعنى الذي يرمي إليه الكثير من الناس.

فالرجولة بمفهومها الصحيح الملائم لهذه الكلمة العظيمة هو ما ذكره الله تبارك وتعالى في ثنايا كتابه الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت:٤٢].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن لفظة الرجولة ذُكرت في سبعة وخمسين (٥٧) موضعاً بألفاظ متعددة حيث ذُكر الرَّجُلُ، والرجلان، والرجال، وأراد بها النوع، وتارة أراد بها الصفة، وأخرى أراد بها النوع والصفة معاً.

جاء التعبير بصيغة المفرد في (٢٤) موضعاً.

جاء التعبير بصيغة المثنى في (٥) مواضع.

جاء التعبير بصيغة الجمع في (٢٨) موضعاً.

أما بالنسبة للنوع فقد قصد به الذكورة حيث جاء قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١] أي خلق منهما الذكور والإناث، وأيضاً جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ﴾ [النساء:٣٢] أي بمعنى أن الذكور لهم نصيبهم وللإناث نصيبهن أيضاً.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف:٨١].

وأما عندما أراد الصفة، أي توافر صفات الرجولة في الذكر فقد قال تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]،فكلمة المؤمنين جمع للمذكر ولم يقل ﷻ كل المؤمنين رجال، وإنما قال:(**من المؤمنين رجال**)، ومن تفيد التبعيض، أي ليس كل ذكر رجلاً، وإنما كل رجل ذكر فلم يرد النوع، أي الذكورة، وإنما أراد الصفة كالصدق والوفاء

بالعهد، وهو الذي لم يهادن ولم ينافق ولم يتنازل عن دينه وثوابته، وإنما قدم روحه شهيداً في سبيل الله واتصف بصفات الرجولة، وأراد النوع والصفة بالرجولة في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء:٣٤]،فالمراد بالرجال في النص القرآني أي الذكور الذين يتصفون بالقوامة والإنفاق على النساء، وتحمل المسؤولية في الحفاظ عليهن وتوفير سبل العيش الشريف لهن مهما كانت التكاليف.

وقد يظن بعض الرجال أن المراد بالقوامة التحكم والسيطرة على النساء في البيت بينما هي تختلف كلياً عن ظنهم هذا، فمعناها «القائمون على خدمة أمور النساء بما يرضي الله سبحانه ، والعرب تقول: من يقوم على خدمتنا الليلة؟ أي قام بخدمة غيره وقضى مصالحه، والله سبحانه جعل المرأة معلقة في رقبة الرجل يقوم على رعايتها عندما تكون بنتاً أو أختاً أو أماً أو زوجة، وتقع القوامة بمسؤولية الزوج عن أهله في أمرها بالصلاة، قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه:١٣٢].

وجاء على لسان إسماعيل عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم:٥٥]. بينما لا توجد آية تحتم على المرأة أن تأمر زوجها بالصلاة، وبذلك يكون الزوج مسؤولاً عن أهله وبيته.

لهذا كانت الرجولة مسئولية ورعاية وخدمة من الرجل القائم على رعاية الأسرة، بينما الزوجة مسئولة في مشاركتها لزوجها في تربية الأولاد التربية الإسلامية حتى يصبحوا عناصر خير وبركة في المجتمع.

الرجولة

الرجولة: تتجلى في تعلُّم العلم وتعليمه حيث تحدث القرآن الكريم عن علم ذي القرنين، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف:٨٥].

الرجولة: تعني النطق بالحكمة والبعد عن سفاسف الأمور حيث ذكر القرآن الكريم حكمة لقمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان:١٢].

الرجولة: أظهرها القرآن الكريم في الفتوة الصالحة عندما حطّم أصنامهم ووقف يجادلهم بمنطق العقل وقوة الإيمان الراسخ حيث جاء في حوار إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء:٦٠].

الرجولة: ليست بالمال والجسم والجاه وإنما الرجولة هي قوة إيمانية روحية تكمن في النفس فتحمل صاحبها على التحلي بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وتُبعده عن المنكرات وكل سفاسف الحياة.

الرجولة: تجعل الصغير كبيراً في سلوكه مع الآخرين، وقوياً في ضعفه وغنياً في فقره، وأن يؤدي واجبه نحو نفسه ونحو ربه ونحو أمته ودينه ووطنه.

يقول طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي :

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

الرجولة: تُرَسّخ بعقيدة قوية وتُهَذّب بتربية صحيحة، وتُنَمّى بقدوةٍ حسنة.

الرجولة: تحمُّلُ المسئولية في الذب عن التوحيد، والنصح في الله.

قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ القصص:٢٠].

الرجولة: قوة في القول، وصدعٌ بالحق، وتحذير من المخالفة لأمر الله مع حرص وفطنة قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾] غافر:٢٨].

الرجولة: صمودٌ أمام الملهيات، واستعلاء على المغريات، حذراً من يوم عصيب، قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧].

الرجولة: مواقف عز تُرجى عند الملمات و تدفعك لتلبية النداء دون تردد ما دام الحق والعدل والصدق والإخلاص وقيم الأمة ونبلها والخطر الداهم عليها هو العنوان لتلك المواقف والظروف، وإن جاء ذلك على حساب راحتك وهناء نومك ورغد عيشك.

إنَّ من تسكن الرجولة داخله تهون عليه الحسابات وتسمو معه النفس مجداً وشموخاً ينتشي بها عزاً وهو يشدو:

لا تسقني كأس الحياة بذلةٍ بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

الرجولة: ليست أن يكون الإنسان إمّعة إن أحسن الناس أَحسَنْ وإن أَسَاؤوَا أَسَاء، وإذا ولغ أصحابه في مستنقعات السوء جرى في ركابهم لكي يكون رجلاً كما يزعمون.

الرجولة: من تنعدم في داخله فلا نخوة ترتجى منه ولا رجاء وان كان ذا مال أو جاه أو نفوذ.. حتى وان جارت الأيام على صديق أو جار أو زميل له فكيف بالأمة والوطن؟! فالموت الأعظم والأبشع جمود الروح والوجدان والشهامة وليس فناء الجسد وموته.

الرجولة: لها مدى واسع يشمل الحياة كلها من أضيق أبوابها إلى أوسعها،فإذا كانت الرجولة تبدأ من الإيثار بمختلف معانيه وأوزانه ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]، فإنها تصل إلى الدولة ومؤسساتها وساساتها، لذلك كنا نسمع أن فلاناً كان رجل دولة

مدحا له ولمواقفه كتعبير عن عزمه وإرادته وإيثاره ونخوته وتحمله للمسؤولية على أكمل وجه من أجل الأمة والوطن وأهله ولو كان على حساب شخصه ومصالحه.

الرجولة: ليست جسماً وتركيباً ولكنها أخلاقٌ وعقيدة وليست أعماراً معينة وإنما هي صفات وخصال حميدة، فأعمار الرجال لا تقاس بعدد السنين وإنما تقاس بما تثمر من الأعمال الخيرية المفيدة لأبناء المجتمع، وربما ابن أربعين سنة يكون في نظر التاريخ من أطول المعمرين عمراً لما أحدثه من تغيير في واقع الأمة إلى الأفضل، كما أن الرجل لا يكون رجلاً لذكورته الجنسية، وإنما يكون رجلاً بذكورة نفسه وقلبه وذكورة عمله، فلا نعني بالرجل أنه غير المرأة في التكوين الجسدي ولكن نريد بالرجل صاحب القيم والمثل العليا النبيلة المنبثقة من عقيدة الإسلام.[1]

قال الشاعر:

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِدَاؤُهُ خَلِقٌ وَجَيْبُ قَمِيصِهِ مَرْقُوعُ

الرجولة: لا تعرف الجنس ولا العرق ولا تعترف بهيكل الجسم وتراكيبه البيولوجية والفسيولوجية بل تسكن نفس من يعشقها وينتشي بها ذكرا أو أنثى من أي عرق كان ما دامت النخوة والشهامة هما

(١) انظر حياة العقيدة ورجالها، لمحمد عبد الحميد أحمد، ص ١١، ١٢.

المنهج،والصدق والثبات هما العنوان والجوهر وصدق الله العظيم حين قال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]، فالرجولة مواقف فأين الرجال؟

الرجولة: ليست في تطويل الشوارب وحلق اللحى، أو الأخذ بالثارات وقتل الأبرياء.

الرجولة: ليست في رفع الصوت والصياح وفرض الرأي بالقوة أو البطش بالعضلات.

الرجولة: ليست سناً أكثر مما هي صفات وشمائل وسجايا وطباع.

الرجولة: ليست أن تكون غاية مراد الشاب شهوة قريبة، ولذةً محرمة في ليلة عابثةٍ، بلا رقيب ولا حسيب؟ أين هذا من رجل قلبه مُعلّقٌ بالمساجد؟ وأين هذا من رجلٍ دعته امرأةٌ ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله؟ وأين هذا من رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه؟ وأين هذا من رجلين تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه؟ أولئك يمقتهم الرحمن وهؤلاء يدنيهم ويظلهم في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

الرجولة: أين هي فيمن يتمايل في حركاته، ويطيل شعره، ويضع القلادة على رقبته، ويتطأطأ في مشيته، بل قد يرقص كما ترقص النساء؟ إن هذه السلوكيات نواةُ شرٍ ونذير فسادٍ لكل المجتمع؛ لأنها تحكي

مسخاً وانصرافاً عن الفطرة، وانهزاميةً وانحطاطاً على حسابِ أخلاق الأمة، ولهذا«**لعن الرسول ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**»[١]، **ولعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء** وقال: «**أخرجوهم من بيوتكم**»[٢].

الرجولة: في الإنسان صفه جامعة لكل صفات الشرف: من اعتداد بالنفس واحترام لها وشعور عميق بأداء الواجب مهما كلفه من نصب وحماية لما في ذمته من أسرة وأمة ودين وبذل الجهد في ترقيتها والدفاع عنها والاعتزاز بها وإباء الضيم لنفسه ولها.

الرجولة: لها صفات كثيرة أخصها أن تكون صاحب رأي سديد، وأن تعيش في نفسك لا من نفس غيرك، وأن تستقل بشخصيتك فيما تُفكر وتحكم وتقدر، وهذه هي الشخصية المستقلة، ورجل العقيدة يطيع الله سبحانه في كل حركاته وسكناته وأعماله وسائر أقواله وهو مؤمن بربه وبمنهجه القويم، ومؤمن بنفسه ومؤمن بنصر الله، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم:٤٧].

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

الرجال

الرجال: لن يتربوا إلا في ظلال العقائد الراسخة، والفضائل الثابتة، والمعايير الأصيلة، والتقاليد المرعية، والحقوق المكفولة. أما في ظلام الشك المحطم، والإلحاد الكافر والانحلال السافر، والحرمان القاتل، فلن توجد رجولة صحيحة، كما لا ينمو الغرس إذا حُرم الماء والهواء والضياء.

عن هشام بن عروة عن أبيه ﷺ قال :«ليس الرجل الذي إذا وقع في الأمر تخلص منه ولكن الرجل يتوقى الأمور حتى لا يقع فيها».

وقال عبد الله بن المبارك ﷺ: «ليس الرجل كل الرجل من وصفته الألسن ولا الرجل كل الرجل من رمقته الأعين، إنما الرجل من ستر الله عليه في حياته فأدخله قبره مستوراً ثم أبرزه يوم القيامة ليس عليه ذلة معصية فذلك الرجل».

وقال ابن القيم ﷺ: ليس الرجل الذي يستسلم للقدر ، بل الذي يحارب القدر بقدر أحب إلى الله[1].

الرجال: ليسوا أولئك الذين بطِنت أجسادُهم، وقد خلت من قول الحكمة ألسنتهم، وعن سداد الرأي عقولهم. هؤلاء الرجال أشباه رجالٍ لا ننشدهم، بل نبغي الذين عناهم القرآن في قوله:

---

(١) مدارج السالكين ج١.

﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان:٦٧].

الرجال: يَصدُقون في عهودهم، ويوفون بوعودهم، ويثبتون على الطريق، قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

الرجال: لا يُقاسون بضخامة أجسادهم وبهاء صورهم، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أمر النبي ﷺ ابن مسعود رضي الله عنه فصعد على شجرةٍ أمره أن يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين صعد الشجرة فضحكوا من دقة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «**ممَّ تضحكون؟ لَرِجلُ عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد**»[(١)].

الرجال: الحقيقيون من هذه الأمة أصحاب مواقف، وقد يتمثل هذا في رجل أو مجتمع أو شعب من الشعوب المسلمة.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠)، والبزار (١٨٢٧، ٣٣٠٩)، وأبو يعلى (٥٣١٠، ٥٣٦٥)، والشاشي (٦٦١، ٩٠٤)، والطبراني (٩/ ٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٢٧).

قال احد السلف :« لكل وقت أدب ، ولكل حال أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لازم الأدب بلغ مبلغ الرجال».

الرجال: يعلمون علم اليقين أن التغيير الذي يحلمون به لأمتهم لا يمكن أن يحدث بين يوم وليلة، كما أن له مقدمات ومقومات، فالسنن الإلهية تدل على أن الله ربط تغيير الحال العام بتغير حال العباد، فحال الأمة الآن يمكن تغييره، ولكن بصلاح أفرادها، أما إذا قال كل فرد فيها إنه لا يمكنه أن يؤثر في الأمة فإنه يكون مخطئاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

أهمية الرجولة في حياة الأمة

قال الشاعر محمود غنيم:

إني تذكرت والذكرى مؤرقة ... مجداً تليداً بأيدينا أضعناه
أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد ... تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها ... وبات يحكمنا شعب ملكناه
كنا أسوداً ملوك الأرض ترهبنا ... والآن أصبح فأر الدار نخشاه
أين الرشيد وقد طاف الغمام به ... فحين جاوز بغدادًا تحداه
ماضٍ تعيش على أنقاضه أمم ... وتستمدّ القوى من وحي ذكراه

وقال الشاعر هاشم الرفاعي:

ملكنا هذه الدنيا قرونا ... وأخضعها جدود خالدونا
وسطرنا صحائف من ضياء ... فما نسيـ الزمان وما نسينا
وما فتئ الزمان يدور حتى ... مضىـ بالمجد قوم آخرونا
وأصبح لا يرى بالمجد قومي ... وقد عاشوا أئمتهم سنينا
وآلمني وآلم كل حر ... سؤال الدهر : أين المسلمونا ؟
ترى هل يرجع الماضي فإني ... أذوب لذلك الماضي حنينا !

إن قوة الأمم ونهضاتها إنما تقاس بخصوبتها في إنتاج الرجال الذين تتوافر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة. و قوام أي حركة نهضوية هم الرجال.

والنصر يأتي عندما تكون الأمة قادرة على إنتاج العدد الكبير من الرجال القادرين على النهوض بها بلا انقطاع.

قد تمر بالإسلام أزمات، قد تمر بالمسلمين شدائد وضائقات، قد يمر بالمسلمين عسر شديد، تنقطع بهم السبل، فيتحير الناس ويضطربون، ويميدون ويحيدون عن شرع الله، فترى الناس متفرقين شذر مذر، لا يرى أحدهم الحق ولا يتبعه، حيَّرتهم فتن الحياة الدنيا، فاضطربوا اضطراباً شديداً، وتبعثروا وتفرقوا، فمَن الذي يثبِّت في هذه الحالة؟ ومَن الذي يقوم بواجب التثبيت؟ في هذه الحالة التي تقع فيها الفتن بالمسلمين نحتاج إلى عناصر مثبته تثبت المسلمين على المنهج الرباني، مَن الذي يثبت؟ في حالة الأزمات تكتشف أنت معادن الرجال، يفضي كل رجل إلى معدنه الخالص؛ ليستبين أمام الناس هل هو من أهل العقيدة أم لا؟ هل هو رجل عقيدة أم لا؟ في حالة الأزمات يتبين الرجال الذين يقفون على منهج الله بأقدام راسخة.

يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة:٢٣].

ويقول الإمام الشهيد حسن البنا[١]: «إن الرجال سر حياة الأمم ومصدر نهضاتها وإن تاريخ الأمم جميعاً إنما هو تاريخ من ظهر بها من الرجال النابغين الأقوياء النفوس والإرادات. وإن قوة الأمم أو ضعفها إنما تقاس بخصوبتها في إنتاج الرجال الذين تتوفر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة. وإني اعتقد - والتاريخ يؤيدني - أن الرجل الواحد في وسعه أن يبني أمة إن صحت رجولته، وفي وسعه أن يهدمها كذلك إذا توجهت هذه الرجولة إلى ناحية الهدم لا ناحية البناء».

حاصر خالد بن الوليد (الحيرة) فطلب من أبي بكر مدداً، فما أمده إلا برجل واحد هو القعقاع بن عمرو التميمي وقال:«لا يهزم جيش فيه مثله»، وكان يقول: «لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف مقاتل»[٢]!

---

(١) مجموع رسائل الإمام حسن البنا.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة (٤/ ٤٠٩).

ولما طلب عمرو بن العاص المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فتح مصر ـ كتب إليه: «أما بعد: فإني أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف: رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد واعلم أن معك اثني عشر ألفاً ولا تغلب اثنا عشر ألفا من قلة»(١).

ومن هنا فإن خير ما تقوم به دولة لشعبها، وأعظم ما يقوم عليه منهج تعليمي، وأفضل ما تتعاون عليه أدوات التوجيه كلها من صحافة وإذاعة،ومسجد ومدرسة، هو صناعة هذه الرجولة، وتربية هذا الطراز من الرجال.

هذه النوعية التي نحتاج إليها حقيقة اليوم في وسط الأزمات التي تعصف بالمسلمين، الأزمات والفتن التي تجعل الحليم حيران، نحتاج إلى رجال يبصرون الناس بالدين، إلى رجال يكونون قدوة للناس، إلى رجال يثبتون الناس على شرع الله.

قال الشاعر:

هُـم الرِّجـالُ وغَـبْنٌ أن يُقـال لِمَـن لَمْ يَتَّصِـفْ بِمَعَـانِي وَصْـفِهِم رَجُـلُ

---

(١) كنز العمال ١٤٢٢١.

في دار من دور المدينة المباركة جلس عمر رضي الله عنه إلى جماعة من أصحابه فقال لهم: تمنوا؛ فقال أحدهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءةٌ ذهباً أنفقه في سبيل الله. ثم قال عمر: تمنوا، فقال رجل آخر: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهراً أنفقه في سبيل الله وأتصدق به. ثم قال: تمنوا، فقالوا: ما ندري ما نقول يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: ولكني أتمنى رجالاً مثلَ أبي عبيدة بنِ الجراح، ومعاذِ بنِ جبلٍ، وسالمٍ مولى أبي حذيفة، فأستعين بهم على إعلاء كلمة الله(١).

رحم الله عمر الملهم، لقد كان خبيراً بما تقوم به الحضارات الحقة، وتنهض به الرسالات الكبيرة، وتحيا به الأمم الهامدة.

إن الأمم والرسالات تحتاج إلى المعادن المذخورة، والثروات المنشورة، ولكنها تحتاج قبل ذلك إلى الرؤوس المفكرة التي تستغلها، والقلوب الكبيرة التي ترعاها والعزائم القوية التي تنفذها: إنها تحتاج إلى الرجال.

لرجل أعز من كل معدن نفيس، وأغلى من كل جوهر ثمين، ولذلك كان وجودُه عزيزاً في دنيا الناس، حتى قال رسول الله ﷺ: «**إنما الناس كإبل مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة**»(٢).

---

(١) صفوة الصفوة١/ ٣٦٧. .

(٢) رواه البخاري. .

الرجل الكفء الصالح هو عماد الرسالات، وروح النهضات، ومحور الإصلاح. أعدَّ ما شئت من معامل السلاح والذخيرة، فلن تقتل الأسلحة إلا بالرجل المحارب، وضع ما شئت من مناهج للتعليم والتربية فلن يقوم المنهج إلا بالرجل الذي يقوم بتدريسه، وأنشئ ما شئت من لجان فلن تنجز مشروعاً إذا حُرمتَ الرجل الغيور!!

ذلك ما يقوله الواقع الذي لا ريب فيه.

إن القوة ليست بحد السلاح بقدر ما هي في قلب الجندي، والتربية ليست في صفحات الكتاب بقدر ما هي في روح المعلم، وإنجاز المشروعات ليس في تكوين اللجان بقدر ما هو في حماسة القائمين عليها.

فلله ما أحكم عمر حين لم يتمن فضةً ولا ذهباً، ولا لؤلؤاً ولا جوهراً، ولكنه تمنى رجالاً من الطراز الممتاز الذين تتفتح على أيديهم كنوز الأرض، وأبواب السماء.

إن رجلاً واحداً قد يساوي مائة، ورجلاً قد يوازي ألفاً، ورجلاً قد يزن شعباً بأسره، وقد قيل: رجل ذو همة يحيي أمة.

يعد بألف من رجال زمانه لكنه في الألمعية واحد

وكأني بهذا الدين في هذا الزمان يهتف بأبنائه: أليس منكم رجل رشيد يحملني ويقوم بأمري؟

ولله در من قال:

هم الرجال وأهل الله نعرفهم
من خصّه الله بالتوفيق والقرب
لذكرهم ينزل الرحمن رحمته
كما سمعناه في الأخبار والكتب
هم الرجال إذا نار الوغى اضطرمت
وهم مصابيحنا بالنور تهدينا
بيضٌ كأنّ سناء البدر أشعلهم
وعلمهم منهلٌ يُروى فيروينا
ويؤثرون على جوعٍ ومسغبةٍ
كأنّهم خُلقوا للنّاس تأمينا
ويرتقون، وقد ضمّ الهوى نفرٌ
إلى الصدور، وهم قد بايعوا الدّينا
لما انجلت وتجلت في سرائرهم
قاموا لها وجثوا منها على الركب
وإن تعالى حبيس الطّين ما بلغت
آفاقُه شبر مَن لم يعشق الطّينا!!

الرجولة كلمة حق تقال

الرجولة كلمة حق تُقال وما أَقلَّ ما قلنا (كلمةَ الحق) في مواقف الرجال، وما أَكثر ما قصّرنا في ذلك، إن لم يكن خوفاً فضعفاً، ونستغفر الله، وأَرى أَنْ قد آن الأوان لنقولها ما استطعنا؛ كفَّارةً عما سَلَف من تقصير، وعما أَسْلَفْتُ من الذنوب، ليس لها إلاَّ عفوُ الله ورحمته، والعمر يجري بنا سريعاً، والحياة توشك أن تبلغ منتهاه.

وأَرى أَنْ قد آنَ الأوانُ لنقولها ما استطعنا، وبلادُنا، وبلاد الإسلام تنحدر في مجرى السَّيْل، إلى هُوَّة لا قرار لها، هُوَّةِ الإلحاد والإباحية والانحلال، فإن لم نقف منهم موقف النذير، وإن لم نأخذ بحُجَزِهم عن النار انحدرنا معهم، وكان علينا من الإثم أضعاف ما حُمِّلوا.

ذلك بأن الله أخذ علينا الميثاق: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].

وذلك بأن ضرب لنا المثل بأَشقى الأُمم فقال جل شأنه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة:٧٩].

وذلك بأن الله وصفنا بأننا خيرُ الأمم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠].

فإن فقدنا ما جعلنا الله به خير الأُمم، كنَّا كَمَثَل أشقاها، وليس من منزلة هناك بينهم.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب:٣٩].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ قال: «أَلاَ لا يمنعنَّ أحدكم رهبة الناس أن يقول بحقٍّ إذا رآه الناس أو شَهِدَه؛ فإنه لا يُقرِّب من أَجَلٍ ذلك، ولا يُبَاعد من رِزْقٍ، أَنْ يقولَ بحقٍّ، أو يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ»(١).

ويقول ﷺ: «لا يحقرنَّ أحدكم نفسه، قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أَحدنا نفسه؟ قال: يرى أمراً لله عليه فيه مقال، ثم لا يقولُ فيه؛ فيقولُ الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقولَ فيَّ كذا وكذا؟ فيقولُ خَشْيَة الناس، فيقولُ: فإياي كنت أَحقَّ أن تَخْشَى»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣ / ٥٠) رقم (١١٤٩٢).

(٢) رواه الطبراني في معجمه الأوسط (٥/ ١٣٧) حديث رقم: ٤٨٨٧.

الرجولة أن نقول (كلمة الحق) في شؤون المسلمين كلها، و ننافح عن الإسلام ما استطعنا، بالقول الفصل، والكلمة الصريحة، لا نخشى أحداً إلاَّ الله؛ إذ نقول ما نقول في حدود ما أنزله الله لنا إلينا، بل ما أوجب عليه أن نقوله، بهدي كتاب ربنا، وسنة رسوله.

الرجولة أَن نحارب الوثنية الحديثة والشرك الحديث، اللذين شاعا في بلادنا وفي أكثر بلاد الإسلام، تقليداً لأُوربة الوثنية الملحدة، كما حارب سلفنا الصالح الوثنية القديمة، والشرك القديم.

الرجولة أن ننافح عن القرآن، وقد اعتاد ناس أن يلعبوا بكتاب الله بين أَظهرنا، فمن متأول لآياته غيرِ مؤمن به، يريد أن يَقْسِرَها على غير ما يدل عليه صريح اللفظ في كلام العرب، حتى يوافق ما آمن به، أو ما أُشْرِبتْهُ نفسه، من عقائد أُوربة ووثنيتها وإلحادها، أو يُقَرِّبه إلى عاداتهم وآدابهم -إن كانت لهم آداب - ليجعل الإسلام ديناً عصريَّاً في نظره ونظر ساداته الذين ارتضع لبانهم، أو رُبِّي في أحضانهم!!.

ومن منكر لكل شيء من عالم الغيب، فلا يفتأ يحاور ويداور؛ ليجعل عالم الغيب كله موافقاً لظواهر ما رأى من سنن الكون، إن كان يرى، أو على الأصح لما فهم أَن أُوربة ترى!! نعم، لا بأس عليه -عنده- أن يؤمن بشيء مما وراء المادة، إن أثبته السادة الأُوربيون، ولو كان من خرافات استحضار الأرواح!

ومن جاهل لا يفقه في الإسلام شيئاً، ثم لا يستحيي أن يتلاعب بقراءات القرآن وألفاظه المعجزة السامية، فيكذب كل الأئمة والحفاظ فيما حفظوا ورووا؛ تقليداً لعصبية الإفرنج التي يريدون بها أن يهدموا هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ ليجعلوه مثل ما لديهم من كتب.

الرجولة أن نحفظ أعراض المسلمين، وأن نحارب ما أحدث (النسوانُ) وأنصار (النسوان) من منكرات الإباحة والمجون والفجور والدعارة، هؤلاء (النسوانُ) اللائي ليس لهن رجال، إلاَّ رجال (يُشْبِهْنَ) الرجال!! هذه الحركة النسائية الماجنة، التي يتزعمها المجددون وأشباه المجددين، والمخنثون من الرجال، والمترجلات من النساء، التي يهدمون بها كل خلق كريم، يتسابق أولئك وهؤلاء إلى الشهوات، وإلى الشهوات فقط.

نريد أن ندعو الصالحين من المؤمنين، والصالحات من المؤمنات: الذين بقي في نفوسهم الحفاظ والغيرة ومقومات الرجولة واللاتي بقي في نفوسهن الحياء والعفة والتصوُّن إلى العمل الجدِّي الحازم على إرجاع المرأة المسلمة إلى خدرها الإسلامي الموصون، إلى حجابها الذي أمر الله به؛ طوعاً أو كرها.

الرجولة أن نثابر على ما دَعَوْنَا وندعو إليه من العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله في قضائنا كله، في كل بلاد الإسلام، وهدم الطاغوت الإفرنجي الذي ضُرب على المسلمين في عقر دارهم في صورة قوانين، والله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء:٦١]،ثم يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

نريد أن نتحدث في السياسةِ العليا للأمة الإسلامية، التي تجعلهم (أمة واحدة)، كما وصفهم الله في كتابه، نسمو بها على بدعة القومية، وعلى أهواء الأحزاب.

الرجولة أن نُبَصِّر المسلمين وزعماءَهم بموقعهم من هذه الدنيا بين الأمم، وتكالب الأمم عليهم بغياً وعَدَوْاً، وعصبية وكراهية الإسلام أولاً وقبل كل شيء.

الرجولة أن نعمل على تحرير عقول المسلمين وقلوبهم من روح التهتك والإباحية، ومن روح التمرد والإلحاد، وأن نريهم أثر ذلك في أوروبا وأمريكا، اللتين يقلدونهما تقليد القردة، وأن نريهم أثر ذلك في أنفسهم وأخلاقهم ودينهم.

الرجولة أن نحارب النفاق والمجاملات الكاذبة، التي اصطنعها كُتَّاب هذا العصر أو أكثرهم فيما يكتبون وينصحون! يظنون أن هذا من حسن السياسة، ومن الدعوة إلى الحق (بالحكمة والموعظة الحسنة) اللتين أمر الله بهما!.

وما كان هذا منهما قط، وإنما هو الضعف والاستحذاء والملق والحرص على عَرَض الحياة الدنيا.

الرجولة أن نقول الحق واضحاً غير ملتوٍ، وأن نصف الأشياء بأوصافها الصحيحة بأحسن عبارة نستطيعها، ولكنا نربأ بأنفسنا وبإخواننا أن نصف رجلاً يعلن عداءه للإسلام، أو يرفض شريعة الله ورسوله ﷺ- مثلاً - بأنه (صديقنا)، والله - سبحانه - نهانا عن ذلك نهياً حازماً في كتابه.

ونربأ بأنفسنا أن نضعف ونستحذي؛ فنصف أمةً من الأمم تضرب المسلمين بالحديد والنار، وتهتك أعراضهم، وتنهب أموالهم، بأنها أمة (صديقة)أو بأنها أمة (الحرية والنور)إذا كان من فعلها مع إخواننا أنها أمة(الاستعباد والنار)! وأمثال ذلك مما يرى القارئ ويسمع كل يوم والله المستعان.

الرجولة أن نمهد للمسلمين سبيل العزة التي جعلها الله لهم ومن حقهم إذا اتصفوا بما وصفهم به: أن يكونوا(مؤمنين).

فإن عجزنا أو ذهبنا، فلن يعدم الإسلام رجلاً أو رجالاً خيراً منا، يرفعون هذا اللواء، فلا يزال خَفَّاقاً إلى السماء، بإذن الله.

الرجولة في الإسلام

الرجولة صفة يمتن بها الله ﷻ بها على من يشاء من عبادة، كما قال ذلك الرجل المؤمن الذي يعلِّم صاحبَه الكافر، يقول له موبخاً ومقرعاً، ومذكراً له بنعم الله ﷻ عليه:

﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف:٣٧].

هذه الرجولة التي يمتن الله ﷻ وينعم بها، لها صفات ولها خصائص، لا تكتمل إلا بها، ولا تقوم إلا عليها، ولا تشتد إلا بهذه الأركان.

والرسل الذين بعثوا إلى أقوامهم ما كانوا إلا رجالاً، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [يوسف:١٠٩] فلم يرسل الله ﷻ إلى الناس إلا رجالاً.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧] قال: «هم الرجال العباد العمال لله بالطاعة». وأخرج ابن المنذر وابن مردويه من

طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾ [الكهف:٧] قال: الرجال[١].

ميزان الرجال في شريعة الإسلام من كانت أعماله فاضلة وأخلاقه حسنة. مرّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال: «**ما تقولون في هذا؟** قالوا: هذا حريٌّ إن خَطَب أن يُنْكح، وإن شَفَع أن يُشَفّع، وإن قال أن يُسْتمع له. قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: هذا حريٌّ إن خَطَب أن لا يُنْكح، وإن شَفَع أن لا يُشَفّع، وإن قال أن لا يُسْتمع له، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا**»[٢].

لعل من أهم الفروق التي تميز المسلمين في أول أمرهم وفجر حياتهم عن المسلمين اليوم **(خلق الرجولة)** فقد عني العصر الأول بمن كانوا هامة الشرف وغرة المجد وعنوان الرجولة.

تتجلى هذه الرجولة في محمد ﷺ إذ يقول: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ما تركته**»[٣].

---

(١) الدر المنثور-ج٥

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٦١ ٢٦٤.

كما تتجلى في أعماله وفي أدوار حياته فحياته كلها سلسلة من مظاهر الرجولة الحقة، والبطولة الفذة، إيمان لا تزعزعه الشدائد وصبر على المكاره وعمل دائب في نصرة الحق، وهيام بمعالي الأمور ،وترفع عن سفاسفها (حقيرها) حتى إذا قبضه الله إليه لم يترك ثروة كما يفعل السلطان ولم يُخلّف أعراضاً زائلة كما يخلف الملوك والأمراء وإنما خلف مبادئ خالدة على الدهر، كما خلّف رجالاً يرعونها وينشرونها ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من اجلها.

وتاريخ الصحابة ومن بعدهم مملوء بأمثلة الرجولة، فأقوى مميزات (عمر بن الخطاب) انه كان (رجلاً) لا يراعي في الحق كبيراً ولا يمالىء عظيماً أو أميراً يقول في إحدى خطبه:

«أيها الناس إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى اخذ الحق له ولا اضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق له». وينطق بالجمل في وصف الرجولة فتجري مجرى الأمثال كان يقول: «يعجبني من الرجل إذا سيمَ خسفاً أن يقول لا بملء فيه».

ويضع البرامج لتعليم الرجولة فيقول: «علموا أولادكم العوم والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً، ورووهم ما يجمل من الشعر».

ويضع الخطط لتمرين الولاة على الرجولة فيكتب إليهم: «اجعلوا الناس في الحق سواء ،قريبهم كبعيدهم ،وبعيدهم كقريبهم، إياكم والرشا والحكم بالهوى، وان تأخذوا الناس عند الغضب».

من اجل هذا كله كان ذاك العصر مظهراً للرجولة في جميع ميادين الحياة، تقرأ تاريخ المسلمين فيملؤونك روعة، وتعجب كيف كان هؤلاء البدو- وهم لم يتخرجوا في مدارس علمية ولم يتلقوا نظريات سياسية حكاما وقادة.

إنما هي الرجولة التي بثها فيهم دينهم وعظماؤهم هي التي سمت بهم وجعلتهم يفتحون أرقى الأمم مدنيه وأعظمها حضارة ثم هم لا يفتحون فتحاً حربياً يعتمد على القوة المدنية إنما يفتحون فتحاً مدنياً إداريا منظما يُعلّمون به دارسي العدل كيف يكون العدل، ويعلمون العلماء الإدارة ويلقون بعلمهم درساً على العالم، أن قوة الخلق فوق مظاهر العلم ،وقوة الاعتقاد في الحق فوق النظريات الفلسفية والمذاهب العلمية وأن الأمم لا تقاس بفلاسفتها بمقدار ما تقاس برجولتها.

هل رأيت حزماً في الإدارة كالذي فعله عمر رضي الله عنه في مسح سواد العراق وترتيب الخراج وتدوين الدواوين وفرض العطاء؟

حقاً لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كل ذلك رجلاً ولئن كان هناك رجال قد امتصوا رجولة غيرهم ولم يشاءوا أن يجعلوا رجالاً بجانبهم فلم يكن عمر من هذا الضرب إنما كان رجلاً يُحلِّق بجانبه رجالٌ كأبي عبيدة الجراح وسعد بن أبي وقاص والمثنى بن حارثه وكثير غيرهم كانوا رجالاً نفخ فيهم عمر من روحه كما نفخ فيهم الإسلام من روحه وأفسح لهم في رجولته كما أفسح لنفسه في رجولته.

ولم تر الدنيا الرجولة في أجلى صورها وأكمل معانيها كما رأتها في تلك النماذج الكريمة التي صنعها الإسلام على يد رسوله العظيم، من رجال يكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطمع، لا يغريهم الوعد، ولا يلينهم الوعيد، لا يغرهم النصر، ولا تحطمهم الهزيمة.

لاَ يَفْرَحُونَ إِذا نَالَتْ رِماحُهُمْ وَلَيْسُوا مجازيعاً إذا نِيلُوا

أما اليوم، وقد أفسد الاستعمار جو المسلمين بغازاته السامة الخانقة من إلحاد وإباحية، فقلما ترى إلا أشباه الرجال، ولا رجال إلا من رحم الله.

تعجبنا وتؤلمنا كلمة لرجل درس تعاليم الإسلام السمحة الشاملة فقال في إعجاب مرير: «يا له من دين لو كان له رجال»!!

هذا الدين الذي تعب من أجله آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل ،وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس

ولبث في السجن بضع سنين ،ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضُّر أيوب ،وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسي ،واتهم بالسحر والجنون نبي الله الكريم، وكسرت رباعيته ،وشج رأسه ووجهه محمد ﷺ.

من أجل هذا الدين قُتِل عمر مطعوناً وذو النورين وعلي والحسين وسعيد بن جبير وعُذّب ابن المسيب ومالك.

ترك لأجله صهيب ماله كله لقريش ،ولحق بقافلة الهجرة ،فربح بيعه ،فياله من دين.

في محبته سالت دماء جعفر الزكية ، وقطعت أعضاء مصعب الطاهرة ،ومُثِّل بجسد حمزة الأسد ،فياله من دين .

من اجله صاح ابن النضر :واهاً لريح الجنة ،وقُطع لحم خبيب بن عدي ،وهو يقول :

ولست أبالي حين أُقتل مسلماً على أيِ جنبٍ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوٍ ممزّعِ

لأجله صرخ قطز واسلاماه ،وأعلنها صلاح الدين :كيف اضحك والقدس أسير .

سالت من اجل الدين دماء الأسد الشهيد احمد ياسين ،واهريقت في سبيله دماء أسد غزة الدكتور عبد العزيز الرنتيسي ،ومن قبلهما بطل الإسلام عز الدين القسام ،فياله من دين .

هذا الدين أصبح يشكو قلة الرجال أمثال هؤلاء مع انه يضم ما يزيد على اثني مليار مسلم، ينتسبون إليه، ويُحسبون عليه، ولكنهم كما قال رسول الله ﷺ «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنّكم غثاء كغثاء السّيل...»[1] أو كما قال الشاعر:

يثقلون الأرض من كثرتهم ثم لا يُغنون في أمرٍ جلل

فيجب علينا أن نفهم أننا في زمن الغربة كما قال ﷺ «**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»**قيل : ومن الغرباء ؟ قال : « قوم صالحون قليل في قوم سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم »** وفي رواية: «**الذين يُصْلِحون إذا فسد الناس**»،وفي رواية «**الذين يَصْلُحون إذا فسد الناس**»،وفي رواية «**الذين يُصْلِحون ما أفسد الناس**»[2].

---

(١) أبو داود (٤٢٩٧)، أحمد (٥/ ٢٧٨، وقال الألباني (٣/ ٨١٠): صحيح.

(٢) مسلم (١٤٥).

و الغريب هنا معناه انه المتمسك بمبادئ الحق عند خوار البعض و الذي يبذل أقصى ما يستطيع في سبيل نصرة هذا الدين، وذلك حسب طاقته لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

فطوبى للغرباء الذين يقبضون على دينهم كما يقبض الإنسان على الجمر، أرأيت إلى رجل يمسك بجمرة وتحرقه، وهو مُصِر على أن يقبض عليها؟! ما معنى هذا الكلام؟ معناه: أن حياته في هذه الجمرة، معناه: أنه لو تركها لتلف، فهو يرتكب أخف الضررين، يحرق ويكابد، لكنه لو ترك لخرج من دينه، فيصبر على هذا، رجل يرى أن حياته في القبض على هذه الجمرة بالرغم من أنها تحرقه، لكنه يصبر، يريد العقبى، هذا زمان الغربة الثانية الذي استعرت فيه الفتن، وخرج أناس وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم أنهم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا.

والنصرة لدين الله تكون بالنفس وبالمال، وبالكلمة، فكل من يأنس في نفسه نوعاً من أنواع النصرة يقوم بها وما دمت قد بذلت جهد طاقتك فالله لا يضيع أجر أحد من ذكر أو أنثى، فيا أخي جاهد نفسك قدر ما تستطيع وأخلص النية و لك أجر ما صنعت وبذلك يكون قد وقع أجرك على الله،ومن معاني الرجولة نصرة هذا الدين، والثبوت عليه وهذا لا يحده زمان ولا مكان، ولا يمنعنك عن مواصلة هذه

النصرة ما تراه من تخاذل المسلمين وضعفهم عند ضربات الأعداء ربما أشرف عليهم اليأس وظنوا أنهم كذبوا فالظاهرون على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ،فإذا تحقق النصر وأنت على ذلك فأنت على ثغرة ثغور الإسلام، ولا تستبطئ نصر الله، فإنه كما نطقت الآية آتٍ لا محالة، ولكنه كما تعلم لن يأتي إلا بعد أن تتحد الأمة، وتنبذ ما لديها من فرقة، فواصل العمل، وليس المهم أن تجني أنت ثمار العمل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

الرجولة في القرآن

ذكر الله الرجولة في القرآن الكريم في أكثر من خمسين موضعًا، فذكر الرجل، والرجلين، والرجال، وقرن الرجل بالمرأة في آيتين اثنتين، والرجال بالنساء في عشرة مواضع.

ذكر الله الرجولة في القرآن، كما أسلفنا الذكر في معناها في الاصطلاح ، وأراد الله بالرجولة النوع تارة، وأراد بها الصفة تارة أخرى، وأراد بها النوع والصفة تارة ثالثة.

النوع:

فيقصد بالرجولة الذكورة فقد قال ﷻ: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١]، وقال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ﴾ [النساء:٣٢]، وقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف:٨١].

الصفة:

فيقصد بالرجولة توافر صفات الرجولة في الذكر فقد قال – ﷻ –: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]، فكلمة المؤمنين جمع مذكر

سالم، ولم يقل الله - ﷻ - كل المؤمنين رجال وإنما قال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب:٢٣]، ومن للتبعيض أي ليس كل ذكر رجلاً وإنما كل رجل ذكر، فأراد هاهنا صفة الرجولة ولم يرد النوع أي الذكورة.

وأما النوع والصفة: فيذكر الله ﷻ الرجولة ويريد بها توافر النوع والصفة، ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء:٣٤]، فلابد للقوامة من الذكورة ومن الرجولة فنحن نرى رجالاً تقودهم النساء وذلك راجع إلى انتفاء الصفة مع وجود النوع.

الاشتراك في الحكم:

إذا ورد لفظ الرجل في القرآن الكريم والسنة ولم يرد دليل على اختصاص الرجل بالحكم، فالأصل دخول النساء في الحكم مع الرجال لقوله ﷺ: «**إنما النساء شقائق الرجال**». [1] فحديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله جاء فيه السبعة بلفظ رجل، ومع ذلك فهذا الحديث يشمل الرجال والنساء، فمن النساء من سيظلهن الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

و كلمة رجل في القرآن محمودة في الغالب لكنها جاءت على سبيل الذم في آيات عدة ومنها:-

١- **قوله تعالى:** ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف:٨١].

٢- **وقوله تعالى:** ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾ [الكهف:٣٢].

٣- وقوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل:٥٥].

٤- **وقوله تعالى:** ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت:٢٩].

٥- وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن:٦].

صفات الرجال في القرآن

أولاً: الطهارة:

قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة:١٠٨].

فالمسلم الحق يجب أن يكون طاهراً دائماً، ليأنس بفيوضات الله عليه، وما دامت ذراته كلها طاهرة من النجاسات المعنوية ومن النجاسات الحسية يصبح جهاز استقبال الفيوضات من الله عنده صالحاً دائماً للاستقبال، والحق ﷻ يرسل إمداداته في كل لحظة، ولا تنتهي إمداداته على الخلق أبداً، وسبحانه يصف نفسه بأنه القيوم فاطمئنوا أنتم، فإن كنتم تريدون أن تناموا فناموا؛ فربكم لا تأخذه سنة ولا نوم[1].

إن الرجال في المجتمع الإسلامي يحرصون على نيل الطهارة بأنواعها كافَّة أنواعها، فهم يطهرون أجسادهم بالماء فلا تمرض ويطِّهرون أرواحهم بالصلاة فلا تنحرف ،ويطِّهرون أموالهم بالزكاة فلا تنقص، ومن خلال ذلك كان المجتمع مجتمعاً طاهراً نظيفاً[2].

---

(١) تفسير الشعراوي -التوبة

(٢) انظر رجال أنزل الله فيهم قرآناً ٨/ ١٨ .

إذاً النظافة دليل الطهارة التي هي من أخص صفات الرجال المؤمنين، قال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة:١٠٨]، امتدح الله في هذه الآية أهل مسجد قباء وكل من سار على نهجهم في الطهارة ،لأنهم رجال يحبون أن يتطهروا حسياً بأبدانهم من الحدث وبأثوابهم والمكان الذي يؤدون فيه العبادة، ولحرصهم على الغسل والوضوء والله يحب أهل الطهارة والنظافة ويرضى عنهم [١].

فالله ﷻ يثني على من أحب الطهارة وتسلح بالوضوء في كل أوقاته وهي مروءة آدمية ووظيفة شرعية، لا تصح الصلاة بدونها؛ لأن من يقف بين يدي ربه لا بد أن يتصف بأجمل الخصال وهي النظافة والاستعداد لملاقاة الله وهو طاهر البدن والثوب.

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « الطهور شطر الإيمان، وسبحان الله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة نور والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها »[رواه مسلم] ، وإنما جعل ﷺ الطهور شطر الإيمان؛ لأنه طهارة للظاهر، والباطن أمره

(١) انظر التفسير الوسيط ١/ ٩١٩ .

عند صاحبه إذا طهره فقد استكمل الطهارة، فجعل ﷺ الطهارة أو الوضوء نصف الإيمان لأنه علامة اليقين، والله ثم والله، ثم والله، لا يحافظ على الوضوء إلا المؤمن، فإنه سر بين العبد وبين ربه الحي القيوم، ولا يعلم السر وأخفى إلا الله، ولا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور إلا الله، ولا يعلم ما بينك وما تضمر، وما تسر إلا الله، بإمكان الرجل أن يصلي وعليه جنابة فلا يعرف الناس أن عليه جنابة، وبإمكانه أن يدخل المسجد وهو منتقض وضوؤه ولكن الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور هو الله، فإذا توضأت علم الله أنك مؤمن، وإذا حافظت على الوضوء علم الله أنك مسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: « ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط ،فذلكم الرباط » [رواه مسلم] ، ومعنى إسباغ الوضوء على المكاره أن تسبغ وضوءك في شدة البرد، يوم ألا يمس المنافقون الماء البارد، ويتأذون به، فتقوم فتشرشر بالماء البارد على أعضائك الدافئة طلباً للفضل والأجر من الله، فيحت الله عنك الخطايا كما تحات أوراق الشجر في شدة البرد، أو في الرياح الهائجة.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق فقال ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت خطاياه من عينيه حتى تخرج مع آخر قطر الماء » وفي رواية عند

مسلم « خرجت خطاياه التي نظر بها -أي: نظر بعينيه في خطأ أو في حرام خرجت من الوضوء مع آخر قطر الماء- فإذا تمضمض خرجت خطاياه مع آخر قطر الماء، فإذا غسل وجهه خرجت خطاياه مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت خطاياه مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت خطاياه مع آخر قطر الماء، ثم إذا أتى المسجد ما مشى خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا جلس ينتظر الصلاة جلست الملائكة تدعو له وتقول: اللهم اغفر له، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث ».

فهل يطلب المسلم أجراً بعد هذا، أو يريد نشاطاً بعد هذا الترغيب لينشطه على عبادة الله.

فيا من أراد أبواب الجنة! دونك أبوابها ثمانية فتحت لك، فتوضأ وادخل على الله من أقرب الأبواب وأيسرها، وتعال إلى المسجد طاهراً مطهراً من الذنوب والخطايا، فما أعظمك أيها المسلم! وهنيئاً مريئاً لك يوم تتوضأ كل يوم خمس مرات، وهنيئاً لك يوم تتطهر بالماء البارد فتخرج خطاياك من أعضائك، هنيئاً لك يوم تطلب رضوان الله، وجنته.

ولا يكتفي الرجال بالطهارة الحسية بل يتطهرون طهارة معنوية من المعاصي والخصال الذميمة لتحقيق مرضاة الله ﷻ؛ لأن الطهارة تكون

من الذنوب بالتوبة والأعمال المكفرة للذنوب [١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم:٨].

فطهارة القلوب ونقاؤها أمر عظيم، كم في القلوب من ظلمة سوداء من أثر المعصية! كم في القلوب من مشاعر حسد ومشاعر منافسة بين أهل الإيمان لا تنبغي ولا ينبغي أن يكونوا عليها؟! فهذه صورة كبيرة، فكيف تتطهر قلوبنا؟ طهارتها هي الطريق إلى العفة عن المحارم، والبعد عن المآثم، تلك هي الطريق التي بها تشرق أنوار القلوب، روى حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأيما قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء.

وأيما قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى يصيرا على قلبين: أسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » نكتة سوداء من منكر أو معصية، ثم أخرى وليس ثمة استغفار ولا توبة، فلا جلاء ولا نقاء ولا صفاء، فما تزال النقاط السوداء حتى يظلم القلب نسأل الله عز وجل السلامة.

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم ٣/ ٤٤٠-٤٤١ .

وإشراقة القلب تكون باجتناب المعصية، فإنه صقل وتطهير لذلك القلب: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٣] طهارة القلوب وعفة الجوارح، وغض بصر، وإغضاء سمع، وإمساك لسان ، كل ذلك يؤدي إلى تلك الطهارة وذلك النقاء؛ لأن أي انحراف إنما مصبه ومرده إلى القلب، العين تنظر إلى المحرم والقلب يظلم، الأذن تسمع الإثم والقلب يظلم، الأيدي تأخذ ما لا يحل والقلب يظلم، فما يزال يظلم ويظلم حتى تنطمس أنواره، نسأل الله عز وجل السلامة.

روى النسائي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحسد »، وفي رواية أخرى عند النسائي في سننه وعند أحمد في مسنده: « الشح والإيمان » تلك المشاعر التي نخرج بها اليوم أموالنا، والتي نبذل فيها مشاعرنا من المحبة هي نوع من التعليم والتعويد والتربية والتزكية للقلوب لتخرج منها تلك الأوضار وتلك الأقذار وتلك الأكدار التي هي شح أو حسد، أو هي ظلمة من آثار تلك المعاصي، نسأل الله عز وجل السلامة.

وعند الحديث عن طهارة الباطن نذكر حديث عمرو بن العاص،وفيه يقول أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ

ﷺ فَقَالَ: «طْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ تَنْطُفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الأُولَى. فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهَّ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، فَقَالَ: إِنِّي لاَحَيْتُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لاَ أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلاَثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ. فَعَلْتَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهَّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِيَ الثَّلاَثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَّ عزوجل، وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلاَةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللهَّ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلاَّ خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلاَثُ لَيَالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهَّ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلاَ هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلاَثَ مِرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلاَثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلاَّ مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلاَّ مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لاَ أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلاَ أَحْسُدُ أَحَدًا

عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لاَ نُطِيقُ»[١].

فانظر كيف قال عبد الله: وهي التي لا نطيق!!! أفيكون شيئاً هيناً هذا الذي لا يطيقه مثل عبد الله بن عمرو وهو من هو عبادة واجتهاداً؟!

وتأمل ما جعله الله من جزاء لمن صفح وغفر وطهر نفسه:

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»[٢].

فبالله عليكم... انظروا إلى واقعنا... كم في قلوب بعضنا من غل وحقد وبغض لأخيه؟ وكم نحمل في صدورنا أحياناً من مشاعر الكراهية تجاه الآخرين؟إلا من رحم الله ،فهيا لننظف قلوبنا من كل غلٍّ وحسد وبغضاء ،ولتلهج ألسنتنا بقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) رواه أحمد (١٢٢٨٦) بسندٍ صحيح.

(٢) الترمذي (٢٠٢١)، وأبو داود (٤٧٧٧) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٨٦))

ثانياً: قلوبهم معلقة في المساجد:

هذه صفة من صفات الرجال العظماء الذين حازوا شرف الرجولة، وفازوا بظل الله يوم لا ظل إلا ظله، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، و منهم رجل قلبه معلق في المساجد»(١).

إن المسجد بيتٌ لكل تقي، ولا يعمره إلا صفوة البشر ولا يهجره إلا أراذلهم؛ لأنه منبع كل خير وله ينتهي كل معروف وهو مهبط الرجال فيه ينشأون على حب الخيرات وبغض المنكرات وحب الجهاد في سبيل الله لتحقيق العزة والكرامة والشرف وتحرير المقدسات من العدو الغاصب المحتل.

قال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة:١٠٨]، فهؤلاء الرجال عمّروا بيوت الله عمارة معنوية بكثرة التردد عليها والصلاة فيها، وبالأذكار وتلاوة القرآن، هؤلاء هم الصفوة المختارة الثابتة على منهج الله ﷻ، والله يدلنا على منابع الصدق وأماكن الثبات

---

(١) انظر الترمذي ج٧، ك الزهد، باب ٥٣، ص ٩٨، حديث رقم (٢٣٩١) وهو جزء من حديث طويل، أيضاً مسند أحمد، ج٢، ص ٤٣٩.

على الحق، وأحب البقاع إليه، حيث قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النور:٣٦].

فالمساجد محاضن لوجود القلوب النورانية الصادقة، والله أمر أن تعظم بتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال التي لا تليق بها؛ لأن المساجد لها قدسيتها ولها الدور الأول في صناعة الرجال الأقوياء بإيمانهم وعقيدتهم، وهذا يجعلنا نهتم بعمارة المساجد وجلب الناس إليها لينهلوا من آدابها الجمة وأخلاقها الوفيرة وليبنوا نفوسهم على أسس متينة وقواعد صلبة لا تهتز أمام المحن والشدائد [١].

ثالثاً: الخشيةُ من الله:

إن القلوب العامرة بالإيمان لا تخاف إلا من ربها، ولا تعبأ بقوة أحد؛ لأنها موقنة أن كل ما سوى الله فهو باطل وضعيف قاصر لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، وإنما ذلك لله وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ [الفتح:١١].

يقومون بأداء الطاعات ويخشون يوم الحساب يوم التناد يوم تتقلب القلوب فتبلغ الحناجر، وتزيغ الأبصار وتشخص، وتتبدل أحوال

---

(١) الأساس في التفسير ٧/ ٣٧٨٥ .

الناس فتفيق وتنتبه بعد سكرتها، ولأجل هذا الخوف لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ومع هذا الخوف يعلقون رجاءهم بثواب الله ومغفرته[١]، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧].

وقد تتقلب القلوب لتدرك الحقيقة الناصعة في صدق الله ورسوله عن وقوع يوم القيامة وما فيه من مشاهد عظيمة، فتنقلب إلى الإيمان بعد الكفران والأبصار إلى العيان بعد الإنكار في الدنيا[٢].

قلوب الرجال لا تعرف الجبن أو الخور، فهي قوية متينة، لكنها تذوب من خشية الله ﷻ ولا سيما عندما تتذكر الآخرة يوم الحساب.

رابعاً: إقامة الصلاة:

إن الصلاة عماد الدين، وهي صلة بين العبد وربه، يستمد العبد منها قوة الإيمان والصبر وتحمل مصاعب الحياة، والصلاة صفة رئيسة من صفات الرجال الصادقين، فهم يؤدونها بتواضع وخشوع وخضوع لله تعالى، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون:٣].

---

(١) انظر في ظلال القرآن ٤/ ٢٥٢٠ ، وأيضاً فتح الرحمن ٤/ ٢٣٥٢ .

(٢) الأساس في التفسير ٧/ ٣٧٧٦ .

قال سعيد بن المسيب: «منذ ثلاثين سنة ما أذن المؤذن إلا وأنا في مسجد رسول الله ﷺ، وما رأيت قفا مصل قط!

ـ وكان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى. كان الربيع بن خثيم يقاد إلى الصلاة وبه الفالج، فقيل قد رخص لك، فقال: إني أسمع حي على الصلاة فإن استطعتم أن تأتوها ولو حبواً.

ـ وكان سعيد بن عبد العزيز التنوخي إذا فاتته صلاة الجماعة بكى!

ـ وقال إبراهيم بن زيد التيمي: إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فانقض يدك منه!

ـ وقال ابن خفيف: إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف فاطلبوني في المقبرة![1].

هكذا كان الرجال...

يمشون نحو بيوت الله إن سمعوا الله أكبر في شوق وفي جذلِ

نجواهم: ربنا جئناك طائعة نفوسنا وعصينا خادع الأملِ

هم الرجال فلا يليهم لعب عن الصلاة ولا أكذوبة الكسلِ

---

(١) نزهة الفضلاء،محمد حسن عقيل موسى،١/ ٢.

والصلاة تقوي الصلة بين العبد وخالقه، وهي ركن مهم يمد الجماعة المسلمة بالقوة الروحية التي لا بد منها لإصلاح المجتمع، ولها دور عظيم في تخفيف المصائب عن المسلمين ،وكان ﷺ يهرع إلى الصلاة إذا حزبه أمر ويقول: أرحنا بها يا بلال.

والصلاة تربي الرجال على الطاعة الكاملة لله سبحانه والاستسلام الكامل للخالق في خضوع وتذلل حينما يناجي ربه بقراءة القرآن وينقطع عن الغفلة ويعد من الشاكرين الذاكرين، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً [1].

خامساً: إيتاء الزكاة:

الطهارة مطلب الجميع ولا يرفضها إلا صاحب فطرة منحرفة وطبيعة مشوهة، وتُعدُّ الزكاة طهارة للمال عندما تخرج لمستحقيها، وطهارة لنفس صاحبها من الشح والبخل، فبها يزكو ويطهر من أدران الجشع والأنانية ويشعر بجوع الفقراء وتوجع المعوزين، لهذا يتصف

(١) أخرجه البخاري في فتح الباري ، مجلد ٨ ، ك التفسير ، باب ٢ ، ص ٥٨٤ ، رقم (٤٨٣٧) .

الرجال بالعطاء والنجدة لكل المحتاجين ويسرعون في سد حاجات إخوانهم بدون تردد.

والزكاة ركن من أركان الإسلام وتُعدُّ من المعلوم من الدين بالضرورة، وتم إجماع المسلمين على وجوبها، ويُعدُّ من أنكر وجوبها خارجاً عن الإسلام، ويقتل كفراً، والذي يمتنع عن أدائها بخلاً مع اعتقاده بفرضيتها فإنه يأثم ويظل في حظيرة الإسلام، وعلى الحاكم المسلم أن يأخذها منه قهراً، وإن قاتل دونها قوتل حتى يرجع إلى أمر الله سبحانه ويؤدي زكاة ماله [١].

ولقد شدد أبو بكر الصديق ﷺ على مانعي الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ واعتبرهم مرتدين عن الإسلام، فحاربهم لتفريقهم بين الصلاة والزكاة، وقال كلمته الشهيرة:«والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه» [٢].

فترك الزكاة يؤدي إلى إنكارها وهذا طريق الكفر والضلال، لذلك توعدهم الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ [فصلت:٧]، وإيتاء الزكاة من

(١) انظر الفقه المبسط ، ص ٢٤٦ .

(٢) انظر إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء،ص٢٤، ٢٥،ط٤، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

الأوصاف المهمة والأساسية للمؤمنين المفلحين المخلصين، فالرجال المؤمنون لا يقصرون في حق أحد، فهم يقيمون صلاتهم على أكمل وجه ، ويمدون أيديهم بالخير والنفع لإخوانهم، فالخير يجري على أيديهم وألسنتهم دون توقف؛ لأنهم صادقون مع الله ومع أنفسهم وأمتهم.

سادساً: الوفاء بالعهد والميثاق:

يتمسك رجال العقيدة والإيمان بالحق ولا يحيدون عنه؛ لأنهم عرفوا الصواب وآمنوا به، فلا تراجع إلى الباطل ولا دفاع عمّا سوى الحق، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

إنهم الأوفياء بما عاهدوا الله عليه من الإيمان والطاعة والصبر والجهاد فمنهم من أوفى بما ألزم به نفسه، ومنهم من هو على عهده مع الله يرتقب ساعة النداء فيلبي، لم يغيروا عهدهم مع الله [1] قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح:١٠].

وعهد هؤلاء الرجال كان على القتال لإعلاء كلمة الله والقضاء على الطاغوت وعهد على عمل الصالحات ومجانبة السيئات، عهد في الإخلاص بكل الأعمال التي يقوم بها الإنسان على سطح هذه المعمورة، وفريق أوفى بما عاهد عليه فقاتل حتى نال الشهادة فارتقى في عليين مع

---

(١) انظر فتح الرحمن في تفسير القرآن ٥/ ٢٧٩٠.

النبيين والصديقين والشهداء وفريق ينتظر هيعة القتال فيصدق فيه الجهاد، فيموت على الصدق والوفاء بالعهد والميثاق بلا تبديل ولا تغيير لما بايع عليه [١].

هكذا كان الرجال في المجتمع الإسلامي لا يعرفون طعماً للذل ولا للهوان يحملون أرواحهم على أكفهم يطيرون بها نحو الجنان، ومن عاش منهم يتمنى القتال ليحقق إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، فيلحق بإخوانه الصادقين الذين سبقوه على طريق الشهادة.

وهكذا الرجال الذين تربوا على مائدة القرآن الكريم، في صدقهم والتزامهم بعهودهم ومواثيقهم مع خالقهم ومع أنفسهم ومع الناس جميعاً.

فالصدق إذاً من أجلى علامات الرجولة،قال إياس بن معاوية: «امتحنت خصال الرجال فوجدت أشرفها صدق اللسان».[٢]،وقال الدارمي: «ساد إسحاق أهل المغرب والمشرق بصدقه».[٣]

الصدق عموما: في القول وفي الفعل.

ولكن صدق الفعل، وصدق العهد أدل على الكمال.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٦٢٣ وأيضاً محاسن التأويل ٨/ ٥٨.

(٢) تهذيب التهذيب ١/ ٣٩١ عن العوائق ١٨٥ .

(٣) طبقات الشافعية ٢/ ٨٦ عن العوائق ١٨٦ .

وإن المسلم بمجرد نطقه بالشهادتين قد أبرم العهد مع الله أن يطيعه وينصر دينه، فأين الصادقون؟

وإن المسلم بمجرد التزامه قد عقد الصفقة مع الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [التوبة:١١١].

إنه أشرف عقد بيع يمكن أن يوقعه بشر،عقدٌ لا يوقعه إلا عمالقة الإيمان ممن سمت نفوسهم ،وعلت هممهم .

«حقيقة هذه البيعة – أو هذه المبايعة كما سماها الله كرماً منه وفضلاً وسماحة – أن الله – سبحانه – قد استخلص لنفسه أنفس المؤمنين وأموالهم؛ فلم يعد لهم منها شيء . . لم يعد لهم أن يستبقوا منها بقية لا ينفقونها في سبيله . لم يعد لهم خيار في أن يبذلوا أو يمسكوا . . كلا . . إنها صفقة مشتراة ، لشاريها أن يتصرف بها كما يشاء ، وفق ما يفرض ووفق ما يحدد ، وليس للبائع فيها من شيء سوى أن يمضي في الطريق المرسوم ، لا يتلفت ولا يتخير ، ولا يناقش ولا يجادل ، ولا يقول إلا الطاعة والعمل والاستسلام . . والثمن : هو الجنة »(٢).

(٢) في ظلال القران ،سيد قطب ،(٤/ ٨٤)

ولا يحسبن فارس الإسلام أن عقد الرجولة ذلك ،إنما يكتبه فقط شهداء معارك الإسلام كما كان من صحب رسول الله ﷺ ،إنما كل فارس في مكانه وميدانه يستطيع انو يوقع مع الله ذلك العقد ،بأن يستفرغ وسعه في حمل رسالة الإسلام وإبلاغها إلى العالمين،وأن يبذل وقته وماله وعلمه في سبيل نهضة هذه الأمة ،وقيام حضارتها من جديد وإلا فرسول الله ﷺ مات على فراشه ،لكنه كان سيد رجال العالمين ، وأصدق من وفّى بعهده مع ربه.

فحقيقة العقد مع الله هو ان يكون هذا الدين هو همك الاول في الحياة ،حتى لتكون على استعداد لان تضحي بكل شيء في سبيل نصرته ورفع رايته (٣).

بل إن الميثاق للوفاء بهذا العهد مأخوذ على كل الأمم!! قال ابن عباس رضي الله عنه : «ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه... وبناء على هذا الميثاق فهِم ابن تيمية أن الصادقين في دعوى الإيمان هم: المؤمنون الذين لم يعقب إيمانهم ريبة، وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم، وذلك هو العهد المأخوذ على الأولين والآخرين».[1]

---

(٣) ياله من دين لو أن له رجال،فريد مناع ،ص١٠٠.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ١٢ عن المنطلق ٢١٢ .

فهل صدقنا في عهدنا مع الله؟ هل أخذنا الأمر بالحزم والقوة والجد؟

بماذا نفسر تهاوننا في أمر الله، وجرأتنا على حرماته؟

بماذا نفسر ترخصاتنا ونكوصنا عن مراتب العزيمة؟

بماذا نفسر تقاعسنا عن تغيير أنفسنا وحملها على الحق بالإكراه؟

هل هو شيء غير التخلي عن صدق العهد مع الله؟

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]. قال السعدي في تفسير هذه الاية: أي: وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبَّلوا أنفسهم في طاعته.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب:٢٣] أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل اللهّ، أو مات مؤديًا لحقه، لم ينقصه شيئاً.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب:٢٣] تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك، مجد.

﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣] كما بدل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء، الرجال على الحقيقة، ومن عداهم، فصورهم صور رجال، وأما الصفات، فقد قصرت عن صفات الرجال.

ونزلت هذه الآية في جماعة من المؤمنين صادقي الإيمان، إلا أنهم لم يشهدوا بدراً ولا أُحُداً، ولكنهم عاهدوا الله إنْ جاءت معركة أخرى لَيُبَادِرُونَّ إليها، ويبلُون فيها بلاءً حسناً.

وورد أنها نزلت في أنس بن النضر، فقد عاهد الله لما فاتته بدر لو جاءت مع المشركين حرب أخرى لَيبلونَّ فيها بلاء حسناً، وفعلاً لما جاءت أُحُد أبلى فيها بلاءً حسناً حتى استشهد فيها، فوجدوا في جسده نيِّفاً وثمانين طعنةً برمح، وضربة بسيف، وهذا معنى ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب:٢٣].

قال الشعراوي في تفسير هذه الآية: وساعة تسمع كلمة ﴿رِجَالٌ﴾ [الأعراف:٤٦] في القرآن، فاعلم أن المقام مقام جدٍّ وثبات على الحق، وفخر بعزائم صُلْبة لا تلين، وقلوب رسخ فيها الإيمان رسوخ الجبال، وهؤلاء الرجال وَفَّوا العهد الذي قطعوه أمام الله على أنفسهم، بأنْ يبلُوا في سبيل نصرة الإسلام، ولو يصل الأمر إلى الشهادة.

سابعاً: القوامة وحسن التوجيه لبيوتهم وذويهم:

قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء:٣٤].

إن مسئولية البيت تقع على عاتق الرجال، وعليهم القيام بتبعات هذه المسئولية على أحسن وجه، ولهذا رفع الله الرجال على النساء درجة

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة:٢٢٨].

فهذه الدرجة هي درجة القوامة، وهي ليست استبداداً أو تعسفاً أو تسلطاً وترفعاً وإنما هي تكليف بالإدارة والرعاية والولاية والنفقة وهذا التكليف عبء على الرجال أكثر من النساء [١] فرفع الرجال وتفضيلهم ليس أمراً جزافاً، بل بما أودعه الله من زيادة القوة العقلية والبدنية، فالذكورة هي تمام الخلقة، ولهذا نجد الذكور في كل الأنواع من المخلوقات أذكى من الإناث، وأقوى جسماً وعزماً وعن إرادته تصدر الأمور.

وبهذه الدرجة تم تفضيل الأزواج على زوجاتهم، والتي منها: الإذن بتعدد الزوجة للرجل دون المرأة وهذا اقتضته الزيادة في القوة الجسمية، وكذلك جعل الطلاق بيد الرجل دون المرأة، والمراجعة في العدة، وهذا يتطلبه الزيادة في القوة العقلية وصدق التأمل، ومنها جعل المرجع في اختلاف الزوجين إلى رأي الزوج في شئون المنزل، وذلك لرجاحة عقله ودماثة التفكير، وكذلك تميز الرجل بالإنفاق وبالدية والميراث والجهاد، وفضل الرجال على النساء لا ينكره عاقل، ولو لم يكن إلا أنها خلقت منه فهو أصلها وله أن يمنعها من التصرف إلا

---

(١) انظر التفسير الوسيط: ١/ ١٢٥ .

بإذنه، فلا تصوم إلا بإذنه ولا تحج إلا معه ،وهذا كله يدل على التفضيل ويبين حق الرجال على نسائهم [١].

الثامنة الإيجابية: وفيها:

١- السعي لتبليغ دعوة الله ومناصرة الأنبياء «مؤمن يس»، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يس:٢٠].

٢- الدفاع عن رمز الدعوة ضد مؤامرة الكفار «مؤمن آل فرعون» قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ [غافر:٢٨].

٣- التحرك السريع لدرء الخطر وبذل النصيحة، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص:٢٠].

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١١٠ ، والتحرير والتنوير ٢/ ٤٠٢ .

صفات الرجال في السنة وأقوال السلف

١- القيام بالفرائض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**». قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى قال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**».(١).

٢- الصلاح:

عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: رأيت في المنام كأن في يدي قطعة إستبرق «حرير سميك» وليس مكان أريد من الجنة إلا طرت إليه، قال: فقصصته على حفصة، فقصته حفصة على النبي ﷺ فقال: «**أرى عبد الله رجلاً صالحًا**»(٢).

٣- الصبر على الشدائد:

عن خباب بن الأرت- رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه. .

فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله لَيَتِمَنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»[١]..

هكذا كان الرجال... يُنشرون نصفين، ويُمشطون بأمشاط الحديد ومع ذلك يصبرون ولا يحيدون عن دينهم قيد أنملة... لماذا؟ طمعاً في رضوان الله والجنة.

إن طريق الجنة شاق، أخبر بذلك المصطفى ﷺ حين قال:«حُفّت النار بالشهوات وحُفّت الجنة بالمكاره» [٢].

وإن ثمن الجنة غال ولذا قال المصطفى ﷺ:«إلا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»[٣].

فكيف نريد الوصول دون زاد عظيم من الصبر؟

صبر بلال على رمضاء مكة وحجارتها اللاهبة وهو يردد أحد أحد،وصبر ياسر وآله حتى جاءتهم البشارة النبوية"إن موعدكم الجنة».

---

(١) رواه البخاري.

(٢) (صحيح الجامع: ٣١٤٢).

(٣) الترمذي (٢٤٥٠) وقال: هذا حديث حسن غريب. وصححه الحاكم ٤ (٣٠٧، ٣٠٨) ووافقه الذهبي.

وصبرت زِنِّيرة حتى ذهب بصرها،وصبر الإمام أحمد على الفتنة حتى استقرت عقيدة التوحيد الصافية،وصبر المؤمنون من قبل ومن بعد... طمعا فيما أعد الله.

إنك أيها الأخ بمجرد أن اخترت الالتزام أدخلت نفسك في طريق شاق وعر فيه مجاهدة النفس ومحاربة الشيطان.

يا هذا أول الطريق سهل ثم يأتي الحزن، في البداية: إنفاق السرور، وفي الوسط: إنفاق النفس!![1]

لا بد من صبر على العبادة، وصبر على مجاهدة النفس، وصبر على مكاره الطريق، وصبر على تعب البذل والعطاء، وصبر على قضاء الله وقدره،وما لم تكن أيها الأخ صبورا فلن تصل إلى ما تريد.

٤- الثبات:

عن ابن عباس- رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ خرج عليهم وهم جلوس فقال: ألا أخبركم بخير الناس، فقلنا: نعم يا رسول الله، قال: **رجل ممسك برأس فرسه أو قال: فرس في سبيل الله حتى يموت أو يقتل، فأخبركم بالذي يليه**، فقلنا: نعم يا رسول الله، قال: **امرؤ معتزل في شعب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل... الناس**».[2]

---

(١) المنطلق ٢٣٠،٢٢٧ .

(٢) رواه الدارمي ورواه الترمذي وصححه الألباني. .

٥- الأمانة والقناعة والحكمة:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: كان فيمن كان قبلكم رجل اشترى عقارًا فوجد فيها جرة من ذهب فقال: اشتريت منك الأرض ولم اشتر منك الذهب. فقال الرجل: إنما بعتك الأرض بما فيها، فتحاكما إلى رجل فقال: ألكما ولد؟ فقال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: فأنكحا الغلام الجارية وأنفقا على أنفسهما منه وليتصدق[1].

فسبحان الله كيف كانت أمانة المشتري وقناعة البائع وحكمة القاضي بينهما!!

٦- السماحة:

عن عثمان بن عفان - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: «**أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً بائعًا ومشتريًا**»[2].

فالسماحة في البيع والشراء والاقتضاء تحتاج إلى رجل، فكم رأينا من يبيع ويعود في بيعه من أجل أموال قليلة أو يبيع على بيع أخيه.

---

(١) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني. .

(٢) سنن النسائي البيوع (٤٦٩٦)، سنن ابن ماجه التجارات (٢٢٠٢)، مسند أحمد (١/ ٧٠).

٧- قيام الليل:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ وكنت غلاما شابا أعزب وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان كقرني البئر وإذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار فلقيهما ملك آخر فقال لي لن تراع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل قال سالم فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا..»[1] ... صدق ابن عمرو رضي الله عنه وبر، واستحق أن يكون رجلا.

إن قيام الليل لا يقوى عليه إلا الرجال، الرجال الأشداء، ذلك أن فيه فراق الملاذ من الفراش الوثير والنوم الهانئ.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور، وعليه عقد، فإذا وضأ يديه انحلت عقدة، وإذا وضأ وجهه انحلت عقدة، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة، فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى

---

(١) البخاري ٣٤٥٧.

عبدي هذا يعالج نفسه يسألني، ما سألني عبدي هذا فهو له».[١]

عن ابن مسعود ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال: «عجب ربّنا ﷻ من رجلين، رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحيّه إلى صلاته، فيقول ربّنا: أيا ملائكتي، انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطائه ومن بين حيّه وأهله إلى صلاته، رغبة فيما عندي، وشفقة ممّا عندي. ورجل غزا في سبيل اللهّ ﷻ فانهزموا، فعلم ما عليه من الفرار، وما له في الرّجوع، فرجع حتّى أهريق دمه، رغبة فيما عندي، وشفقة ممّا عندي، فيقول اللهّ- ﷻ- لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي، ورهبة ممّا عندي، حتّى أهريق دمه».[٢]

وحسبك قوله عليه الصلاة والسلام:«أشراف أمتي حملة القرآن، وأصحاب الليل»[٣] لا مكان إذا في الليل لغير الرجال.

٨. مغالبة الهوى:

قال بعض السلف: «والرجل كل الرجل من داوى الأمراض من

---

(١) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه .

(٢) أحمد (١/ ٤١٦)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٦/ ٢٢): إسناده صحيح.و رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير وإسناده حسن.

(٣) رواه الطبراني وفي سنده راو ضعيف ، الترغيب والترهيب ٩١٩ .

خارج وشرع في قلع أصولها من الباطن حتى يصفو وقته ويطيب ذكره ويدوم أنسه».

وهل للباطن مرض أكبر من الهوى؟ قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣].

ولقد أوضح الرافعي هذا المعنى فقال: «إنما الرجولة في خلال ثلاث:

١ـ عمل الرجل على أن يكون في موضعه من الواجبات كلها قبل أن يكون في هواه.

٢ـ وقبوله ذلك الموضع بقبول العامل الواثق من أجره العظيم.

٣ـ والثالثة: قدرته على العمل والقبول إلى النهاية.

إذاً... عنوان الرجولة مغالبة الهوى، وأن يضع الإنسان نفسه بحيث يقتضي الشرع والعقل، لا بحيث يرغب الهوى.

وإنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه، أي أنه مشتق من السقوط!!

فاحذر أيها المسلم:

خالف هواك إذا دعاك لريبةٍ فلرُب خيرٍ في مخالفة الهوى

حتى متى لا ترعوي ياصاحبي حتى متى حتى متى حتى متى؟

ولا ريب أن جهاد الهوى شديد، ولا يقوى عليه إلا رجل جليد، ولكن حين يقهر الإنسان هواه فإنه يشعر بلذة غامرة ففي قوة قهر الهوى

لذة تزيد على كل لذة» [١]

وبإمكاننا أن نعبر عن هذه المعاني بعبارات هي أقرب لواقعنا فنقول: إن من الرجولة أن يكبح الإنسان عاطفته بلجام الشرع والعقل، فيفعل ما أقراه لا ما أملته عاطفته.

فقس رجولتك بمثل هذا المقياس... وانظر...

إذا دعاك هواك لمعصية ماذا تفعل؟

إذا دعتك عاطفتك إلى حب إنسان على صورة لا يقرها شرع ولا عقل فماذا تفعل؟

إذا دعتك عاطفتك إلى بغض إنسان بصورة لا يقرها شرع ولا عقل فماذا تفعل؟

إذا تحيرت بين أمرين أحدهما أحب إلى نفسك والآخر أرضى لربك فماذا تختار؟

إذا كان أمامك خياران أحدهما صريح العقل والآخر رغبة القلب فأيا تختار؟

هذه الأسئلة تكشف عن خفايا دفينة، وحقائق يجب علاجها.

---

(١) انظر العوائق ٦٠ ـ ٦٨ .

٩- الجرأة في قول الحق:

روى الحاكم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[١].

والجرأة قوة نفسية يكتسبها الإنسان من الإيمان بالله ﷻ، وبقدر نصيب الإنسان من الإيمان يكون نصيبه من الجرأة والشجاعة.

وكان السلف رحمهم الله على قدر كبير من الجرأة، فيدخلون على أولي الأمر فيعظونهم وينصحونهم ولا يبالون.

هذا ومن الجرأة المحمودة جرأة الإنسان في دينه، بحيث يجهر به وبشعائره، ولا يتوارى خجلاً ـ كما يفعل البعض ـ عندما يمر بمحفل لأهل العصيان، ولا يمتنع عن الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر بحجة الحياء والخجل.

ومن الجرأة المحمودة جرأة الإنسان على الحديث أمام الملأ ليوصل لهم كلمة الحق، ورسالة الهدى، أما الاستحياء من إلقاء الحديث، والتهرب منه، تحت شعار عدم القدرة أو عدم الأهلية أو خوف الرياء... كل ذلك أمر مرفوض في عُرف الرجال.

(١) أخرجه الحاكم وصححه (٣/ ٢١٥) والطبراني في الأوسط (٤٠٧٩) وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة.

سن الرجولة

الرجولة ليست بالسن المتقدمة، فكم من شيخ في سن السبعين وقلبه في سن السابعة، يفرح بالتافه، ويبكي على الحقير، ويتطلع إلى ما ليس له، ويقبض على ما في يده قبض الشحيح حتى لا يشركه غيره، فهو طفل صغير... ولكنه ذو لحية وشارب.

مر عمر رضي الله عنه على ثلة من الصبيان يلعبون فهرولوا، وبقي صبي مفرد في مكانه، هو عبد الله بن الزبير، فسأله عمر: لِمَ لَمْ تعدُ مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين لم أقترف ذنباً فأخافك، ولم تكن الطريق ضيقةً فأوسعها لك!

ودخل غلام عربي على خليفة أموي يتحدث باسم قومه، فقال له: ليتقدم من هو أسن منك، فقال: يا أمير المؤمنين، لو كان التقدم بالسن لكان في الأمة من هو أولى منك بالخلافة.

أولئك لعمري هم الصغار الكبار، وفي دنيانا ما أكثر الكبار الصغار؟ وليست الرجولة ببسطة الجسم، وطولِ القامة، وقوةِ البنية، فقد قال الله عن طائفة من المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون:٤] ومع هذا فهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون:٤] وفي الحديث الصحيح: «**يأتي الرجل العظيم السمين يوم**

القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة»، اقرءوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٥].

وكما ذكرنا آنفاً كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحيفاً نحيلاً، فانكشفت ساقاه يوماً - وهما دقيقتان هزيلتان - فضحك بعض الصحابة: فقال الرسول: «**أتضحكون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحد**»[1].

فليست الرجولة بالسن ولا بالجسم ولا بالمال ولا بالجاه، وإنما الرجولة قوة نفسية تحمل صاحبها على معالي الأمور، وتبعده عن سفسافها، قوةٌ تجعله كبيراً في صغره، غنياً في فقره، قوياً في ضعفه، قوةٌ تحمله على أن يعطي قبل أن يأخذ، وأن يؤدي واجبه قبل أن يطلب حقه: يعرف واجبه نحو نفسه، ونحو ربه، ونحو بيته، ودينه، وأمته.

الرجولة ليست سناً، بقدر ما هي صفات وشمائل وسجايا ذكرها الله ورسوله ﷺ. ماذا نفعت الرجولة أولئك الناس الذين قال الله عنهم في القرآن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾]الجن:٦].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠)، والبزار (١٨٢٧، ٣٣٠٩)، وأبو يعلى (٥٣١٠، ٥٣٦٥)، والشاشي (٦٦١، ٩٠٤)، والطبراني (٩/ ٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٢٧).

مقومات الرجولة

أولاً: الإرادة القوية:

إن أول ميدان تتجلى فيه الرجولة أن يتحلى الإنسان بالإرادة والعزيمة القوية وأن ينتصر على نفسه الأمارة بالسوء، فالرجل الحق هو الذي تدعوه نفسه للمعصية فيأبى وتتحرك فيه الشهوة فيكبح جماحها وتبدو أمامه الفتنة فلا يستجيب لها، بل يقول: إني أخاف الله، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف:٢٣].

فالرجل الحق هو الذي يقود نفسه ولا تقوده ويملكها ولا تملكه وهذا أول ميادين الانتصار لتحقيق معنى الرجولة، وأولى الناس بالثناء شاب نشأ في طاعة الله فلا يستجيب لمقارفة السوء، ورجل تهيأت له أبواب المعصية لمقارفة السوء فقال إني أخاف الله رب العالمين.

قال ﷺ سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فذَكَرَ منهم رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله.

والرجل هو الذي يمسك نفسه عند الغضب ويتصف بالحلم حين تطيش عقول السفهاء ويعفو حين ينتقم الأشداء، والإحسان عند

القدرة قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٤].

إن أمانة الإسلام هي شأن الرجال الأقوياء حقاً ،لا يستطيعها كل مُبطل متوانٍ،قد قعدت نفسه عن ذلك المرتقى الصعب ،الذي لا يطيقه إلا أماجد الرجال أصحاب الإرادة القوية .

وهذه حقيقة علّمها الله تبارك وتعالى لنبيه في أوائل ما نزل عليه من آي الذكر الحكيم،إذ أمره رب العالمين فقال :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل١ :٥]

«إنها دعوة السماء ، وصوت الكبير المتعال . . قم . . قم للأمر العظيم الذي ينتظرك ، والعبء الثقيل المهيأ لك . قم للجهد والنصب والكد والتعب . قم فقد مضى وقت النوم والراحة . . قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد . .

وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه ﷺ من دفء الفراش ، في البيت الهادئ والحضن الدافئ . لتدفع به في الخضم ، بين الزعازع والأنواء ، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء .

إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً ، ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً . فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير . . فماله والنوم؟ وماله والراحة؟ وماله والفراش الدافئ ، والعيش الهادئ؟ والمتاع المريح؟! ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر وقدّره ، فقال لخديجة رضي الله عنها وهي تدعوه أن يطمئن وينام : « مضى عهد النوم يا خديجة » ! أجل مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق»(١)!

من اجل ذلك كانت رسالة الإسلام تحتاج إلى طراز خاص من الرجال ،الذين يستطيعون أن يتحملوا تبعة قولها الثقيل .

ثانياً: الهمة العالية:

إنها علامة الرجولة والفحولة وهو أن يستصغر المرء سفاسف الأمور ويعمل على الوصول إلى معالي الأمور في العلم والعمل والأخلاق الفاضلة والقيم والمثل العليا النبيلة وقديماً قالوا: «إن الهمة مقدمة الأشياء فمن صلحت همته وصدق فيها صلح له ما وراء ذلك من الأعمال»(٢).

(١) في ظلال القران ،سيد قطب ،(٧/ ٣٧٨)

(٢) موقع إسلام ويب.

وأما غير الرجال فهمتهم ميتة لا تقوى بهم إلى مفخرة، ومن سفلت به همته أصبح حبيس طباعه، وصار قلبه عن الحق مصدوداً، اللهو الزينة واللعب عندهم أمنية وحياة يعيشون من أجلها، وينفقون الأموال في سبيلها وليس يعنيهم كم ضاع من العمر والوقت ما دام في اللهو واللعب، وتعلقوا بأشكال وأحوال الفنانين وبأحوال الفرق التي يشجعونها، ونشيدهم في هذه الحياة:

إنما الدنيا طعام وشراب ومنام

فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام[1]

إنها صورة يندى لها الجبين من صور هبوط الهمة، وأشد منها خزياً أن تعنى الأمم باللهو وتنفق عليه الملايين وتشغل أبناءها بهذا اللهو والغناء الماجن.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾ [لقمان:٦].

أينقص الدين وأنت حي :

قانون سنه صديق هذه الأمة وتلميذ رسولها الأعظم ،ليس لفارس الإسلام أن يتخلف عنه أو يتقهقر ،يوم أن ارتدت جزيرة

---

(١) العبادة في الإسلام، ص ٢٨٩.

العرب عن الإسلام بعد وفاة سيد الأنام محمد ﷺ،وكاد الإسلام أن يهلك فانبرى للفتنة أبو يكر الصديق ا يجيّش الجيوش ،ويستنفر الهمم لمهمة الإنقاذ الجليلة ،وانطلق لسانه الطاهر :«قد انقطع الوحي وتم الدين ،أينقص وأنا حي ؟»[٢].

وغدت تلك الكلمات سنة في قانون المؤمنين وشعاراً لرجال الإسلام في جميع العصور يقولونها بلسان الحال قبل لسان المقال:

أينقص الدين وأنا حي ؟قالها احمد بن حنبل ،فوقف يذود عن سنة رسول الله ﷺ في محنة خلق القران ،متحملا الحبس والجلد ،فخلّد الله ذكره ،وجعله إمام أهل السنة والجماعة .

أينقص الدين وأنا حي ؟ترجمها صلاح الدين إلى جهاد ،فكان لا ينزل من على فرسه إلا لماماً ،حتى تقوست قدماه من ركوب الخيل ،ففتح الله على يديه وحرر الأقصى الأسير.

أينقص الدين وأنا حي ؟تربى عليها أشبال فلسطين ،فوقفوا يعلمون الأمة كلها كيف تكون الرجولة ،وأذلُّوا بالحجارة نواصي إخوان القردة والخنازير من الصهاينة الملاعين .

أينقص الدين وأنا حي ؟شعار لا بد أن يحمله فرسان الإسلام في هذا الزمان كذلك ،حتى ينصر الله بهم دينه ويعز شريعته .

---

(٢) يا له من دين لو أن له رجال ،فريد مناع ،ص٦٢.

ثالثاً: النخوة والعزة والإباء:

إن الرجال هم أصل الشجاعة والنخوة والإباء، وهم الذين تتعالى نفوسهم عن الذل والهوان والصغار، ولذلك حينما جاء الإسلام ربى الرعيل الأول على الشجاعة والعزة والكرامة وهذب نفوسهم وضبطها بالتقوى والإيمان فكانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار، قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات:١٨]، ويتضح من سيرته ﷺ أنه أحسن الناس، وكان أجود الناس وكان أشجع الناس ،ولذلك بث في نفوس صحابته كل معاني الشجاعة والإقدام لتحقيق النصر ـ للدين وللذب عن حياضه، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح:٢٩].

رابعاً: الإخلاص في القول والعمل:

الإخلاص أشق شيء على النفس؛ لأن الرجل المخلص لا يحرص على إنجاح العمل بقدر ما يحرص على قبوله عند الله ﷻ.

ورجل العقيدة والإيمان تعلو درجته بصدق التوجه إلى الله والتواري عن أعين الناس ليراه الله وحده، لذلك ينبغي على رجل العقيدة أن يقف ساعات يناجي فيها ربه، وليقم من نفسه على نفسه ميزاناً يحاسبها قبل أن يحاسب.

عرّفه بعض العلماء فقال: الإخلاص: هو القوة الإلهية الكامنة في أعمال الناس والسر المجهول في انتصار الضعفاء والسلاح الخفي الحاسم في معركة المبادئ والدعوات [١].

وبذلك يُعتبر المخلص في عهوده ومواثيقه وأماناته جندي العقيدة لا الغنيمة وهو الجندي المجهول بحق؛ لأنه يقاتل ويضحي بوقته وماله ونفسه في سبيل الله دون أن يبرز نفسه للآخرين، ولا يبالي أن يقتل مجهولاً لينال ثواب الله ويلقى الله بقلب سليم خالص من كل المكدرات التي تعكر صفو العقيدة والإيمان.

ورجل العقيدة مخلص في سائر أعماله وأقواله في سره وعلانيته لا يختلف باطنه عن ظاهره ولا قوله عن فعله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾ [الصف:٢].

وأي عمل أقوى وأعظم من الجهاد في سبيل الله حيث يقدم رجل العقيدة نفسه راضياً ويبذل أغلى ما يملكه في سبيل الله، ومع ذلك إذا خالطه الرياء وحب السمعة حبط عمله؛ لأنه لم يكن مخلصاً في عمله لابتغاء مرضات الله ﷻ. .

---

(١) في ظلال العقيدة كلمات وآراء، ص٨٤، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة.

خامساً: التضحية والفداء:

إن رجل العقيدة صاحب قلب كبير يثبت أمام المحن والعقبات وأمام الجهاد المرير الذي لا تنفع معه إلا التضحية والفداء بأخص ما يملك المجاهد في هذه الحياة ولا يملك إلا الصبر والتسليم حتى النصر والتمكين.

وليست طريق بطولة رجال العقيدة والإيمان مفروشة بالورود والرياحين بل هي طريق محفوفة بالأشواك والمصاعب والآلام، ورجل الإيمان لا يخاف الموت، بل يُعدُّ الموت في سبيل عقيدته من أسمى الأماني.

والرجال صنفان في ميدان الإصلاح والجهاد والمقاومة، رجل بلغ ذروة المجد؛ لأنه مؤمن قوي يعيش لفكرته ولا يبالي في سبيلها مهما كانت التضحيات ومخاطرها.

وبذلك فهو جندي الحق ورجل العقيدة... والآخر عنيد يؤمن بباطله ويدافع عنه ويسخر له مواهبه ويبذل من أجله المال وحتى الدم ويخضع له آماله وأعماله، وبذلك فهو رجل الدنيا وجندي الغنيمة [1].

---

(١) انظر كتاب حياة العقيدة ورجالها، لمحمد أحمد، ص ٢١،٢٢.

حياتي كلها لله :

رجل العقيدة يعيش في الدنيا وهو يردد خلف رسول الله ﷺ ما أمره به ربه وخالقه يوم أن قال :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام١٦٢ :١٦٣].

«إنه التجرد الكامل لله ، بكل خالجة في القلب وبكل حركة في الحياة . وبالصلاة والاعتكاف . وبالمحيا والممات . بالشعائر التعبدية ، وبالحياة الواقعية ، وبالممات وما وراءه .

إنها تسبيحة « التوحيد » المطلق ، والعبودية الكاملة ، تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات ، وتخلصها لله وحده . لله ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ القيوم المهيمن المتصرف المربي الموجه الحاكم للعالمين . . في « إسلام » كامل لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقية لا يعبدها لله ، ولا يحتجز دونه شيئاً في الضمير ولا في الواقع . . ﴿ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴾ . . فسمعت وأطعت : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1]» .

وهنا حُقّ لنا أن نتساءل هل يعقل أن يجعل فارس الإسلام حياته ومماته لله رب العالمين ،دون أن يطبع له أثراً مع قافلة الرجال الذين يحملون هم الإسلام ،ويرفعون رايته ؟

---

(١) في ظلال القران ،سيد قطب ،(٣/ ١٨٢).

إن أي منتسب إلى حياة النور يدعي انه يعيش لله ،ولم يضرب له بسهم في ساحة البذل لدين الله تعالى ،إنما هو كاذب في دعواه تلك ،بلا أدنى ريب أو شك.

فكيف يعيش لله من يأكل ملء بطنه وينام ملء جفنيه ،ثم هو لا يحرك ساكنا إن انتقصت أطراف الإسلام ،أو انتهكت محارم رب العالمين ؟!.

كيف يعيش لله من ينفق اغلب وقته ساعياً في تحقيق أمانيه وأحلامه الدنيوية ،بينما نصرة الدين لا تحتل أدنى مساحة في خريطة اهتماماته ؟

كيف يعيش لله من لا يبيت ليله مهتما بشئون المسلمين ،لا يحمل لنهضة أمته هماً ولا يتحسر قلبه على ما يعيشه المسلمون من تخلف وانحطاط ،وذلة وهوان؟

إن فارس الإسلام الذي جعل حياته كلها لله ،لله دره من عملاق !عمري الهمة حنبلي العزيمة ،صديقي الشعار ،مصعبي الزهد ،خالدي الإقدام ،قد أبت نفسه إلا أن يجعل نصرة الدين جل همه .

سادساً: الثبات وقت المحن:

لا تُعرف معادن الرجال إلا وقت الشدائد عندها تبرز مقادير الأبطال ويتكشف القناع عن وجوه الجبناء ويفرون منها خوفاً على

دنياهم. قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة:٢٣].

فهذا الخبر عن رجلين من قوم موسى عليه السلام يشجعان قومهما ويرغبانهم على المضي لأمر الله بالدخول للأرض المقدسة ويقولان لهم ثقوا بالله ونصره الذي لا يتخلف ويقيناً منهم أن العاقبة للمتقين فقالا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة:٢٣].

ولكن يهود نكصوا فولوا مدبرين، للجبن والخوف الذي ينتاب قلوبهم وقت احتدام المعارك حيث ظهر ذلك جلياً قديماً وحديثاً، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة:٢٤].

أما صحابة رسول الله ﷺ فقد كانوا في عهدهم على القتال لإعلاء كلمة لا إله إلا الله وثباتهم على الحق وعمل الصالحات ومجانبة السيئات فهم فريقان، فريق أوفى بما عاهد عليه الله صادقاً حتى قتل شهيداً، وفريق منهم ينتظر يوماً فيصدق فيه الثبات على درب الحق فيموت على الصدق والثبات والوفاء بلا تبديل ولا تغيير لما عاهد عليه الله [١].

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٦٢٣، وأيضاً محاسن التأويل: ٨/ ٥٨.

عوامل ضياع الرجولة

يوجد عدة عوامل تؤدي إلى ضياع الرجولة ونزعها من جذور قلوب الناس ويتمثل أهمها في انقلاب المقاييس عند الناس كتخوين الأمين وتكذيب الصادق والظن بالأبرياء والنظر إلى المجاهدين بأنهم مخربون إرهابيون وذلك لأنهم يدافعون عن حقوقهم ومقدساتهم، بينما اليوم الإرهابي والمحتل قاتل الأطفال والنساء والشيوخ ينظرون إليه على أنه المظلوم، إننا في عالم يسوده الظلم، وذلك لأن الجلاد أصبح الضحية، والضحية هي الجلاد وذلك لضياع الرجولة، وأسباب ضياعها يتمثل في الآتي:

أولاً: الكفر بالله:

إن فضل الله على خلقه كبير، ولا يقدرون على شكره مهما فعلوا من عبادات؛ لأنه أنعم على الإنسان بالخلق والرزق والصحة وغير ذلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى، ومع ذلك نجد من العباد من يكفر بالمنعم فهذا جحود، وهو ما وقع من صاحب الجنتين الذي جاء ذكره في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الكهف:٣٧].

فالرجل المؤمن يرد على صاحبه محاوراً ومجادلاً ليجلي له وجه

الصواب فيخاطبه ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ [الكهف:٣٧] ويُذكره بأن كلامه استعلاء على الحق وإنكار لما أنعم عليه وكفر المخلوق بالخالق الذي أبرزه من العدم إلى الوجود، ويستبعد إنكار البعث ممن علم أن الله خلقه من تراب [١].

ويستمر المؤمن في تعليل ما أنكره على صاحبه، فيتساءل أكفرت بالذي خلق أباك آدم من تراب ثم أنشأك من نطفة الرجل وبويضة المرأة ثم عدلك فأصبحت إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال، فالله سبحانه قادر أن يعيدك خلقاً جديداً بعد موتك [٢].

فتذكير الإنسان بأصل وجوده دافع له على الإيمان بربه الذي أبرزه من غياهب العدم إلى خير الوجود وجعله بشراً سوياً، ويجعله ينفر من الكفر بخالقه الذي أوجده من العدم في أحسن تقويم [٣].

إن حقيقة الرجولة تكمن بالإيمان والتصديق المؤكد بالله تعالى؛ لأن هذا أساس الفطرة السليمة والطبيعة الصافية، فخلاف الفطرة يعني التمرد والكفر والضلال والانحراف لا لشيء بل استكباراً وعناداً دون أي دليل أو منطق.

---

(١) انظر أضواء البيان ٤/ ٨١ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٥/ ١٦٤ ، ط دار القلم ١٩٩٧م .

(٣) انظر أضواء البيان ٤/ ٨٠ .

ولهذا فإن أخص صفات الرجولة هو الإيمان بالله وما يترتب على هذا الإيمان من أداء حقوق الله ﷻ وحقوق الناس في المجتمع على أكمل وجه وأفضل طريقة.

ثانياً: الاستعانة بغير الله ﷻ:

الإنسان مخلوق ضعيف وهو بحاجة إلى الله ﷻ القوي الذي يحمي من يلجأ إليه وهذا حال المؤمن مع ربه، بعكس الكافر فهو متغير في استعانته فتارة يستعين بمخلوق مثله وتارة يستعين بالجن كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن:٦] (١).

وكان هذا حال العرب إذا أمسى في وادٍ قفر وخاف على نفسه يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم، فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الإنس والجن (٢).

---

(١) رجال من الجن استشكل الأمر على بعض المفسرين فذهبوا إلى أن الرجل اسم الإنس لا إسم الجن ، ولكن هذا القول لم يقم دليل عليه ، فيدل على أن الذكر من الجن لا يسمى رجلاً فإطلاق الرجال على الجن من طريق المشاكلة لوقوعه مع رجال من الإنس . فالرجل اسم للذكر البالغ من بني آدم . انظر محاسن التأويل ٩/ ٣٣١ .

(٢) انظر تفسير أبو السعود ٦/ ٣١٥ ، طبعة دار الكتب العلمية ١٩٩٩م .

والتعوذ يكون بالالتجاء إلى ما ينبغي من شيء ينفع أو يضر، والتعوذ في حقيقته هو من فعل العرب في الجاهلية حيث كانوا يلجأون إلى الجن ليدفعوا عنهم بعض الأضرار، ويُذكر أن أول من سنّ هذا التعوذ هم قوم من أهل اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا في العرب [١].

والاستعاذة بالجن يترتب عليها آثار تجعلهم يتكبرون ويزدادون عتواً، فيكون السبب في تجبر الجن تعوذ الناس بهم فزادوهم غياً بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم من الخوف والرعب الذي حلّ بهم.[٢]

أما أثر الاستعاذة على الإنس فهي زيادة الحيرة؛ لأن القلب البشري حين يلجأ إلى غير الله، طمعاً في النفع أو دفعاً لضر لا يناله إلا القلق والحيرة وقلة الاستقرار والطمأنينة، وهذا هو الرهق في أسوأ صورة، الرهق الذي لا يشعر معه القلب بأمن ولا راحة [٣].

ثالثاً: قطع السبيل:

إن الاعتداء على الحرمات ليس من شيم الرجال، بل هو من صفات أشباه الرجال الذين يُروّعون الآمنين ولا يتورعون عن إتيان

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٢٥ .

(٢) انظر تفسير أبو السعود ٦/ ٣١٥ ، فتح الرحمن ٧/ ٣٧٧ .

(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٢٨ .

الفواحش، وهذه الصفة السيئة اتصف بها قوم لوط عليه السلام فعاب عليهم ذلك الفعل، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ [العنكبوت:٢٩].

فهؤلاء القوم وصفوا بأنهم يقطعون السبيل، وقطعهم للسبيل اتخذ أشكالاً متعددة، ولم يكن على وتيرة واحدة، فمن أنواع قطعهم للسبيل الآتي:

١- كانوا يقطعون الطريق بإمساك الغرباء لفعل الفاحشة بهم، حتى انقطعت الطريق، وقد ذكر عنهم أنهم كانوا يفعلون ذلك بالمسافرين ومن ورد بلادهم من الغرباء [١].

٢- قطع سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث وذلك بترك إتيان النساء والبحث عن الرجال.

٣- يقطعون الطريق بالقتل وأخذ المال حيث يقفون في طريق الناس ويتعرضون لهم بالقتل وسلب المتاع والمراودة على فعل الفاحشة[٢].

---

(١) انظر البحر المحيط ٧/ ١٤٥، وجامع البيان ٦/ ٦٨، ط مؤسسة الرسالة ١٩٩٤م.

(٢) انظر محاسن التأويل ٧/ ٥٧٤، والتفسير المنير ٢٠/ ٢٣١.

هكذا إذا انحطت الرجولة وارتكست الشهامة، تنقلب لتفسد في الأرض ولتقترف المنكر دون أي رادع؛ لأنها أصبحت كالوحوش الضارية في أدغال الغابات لا همّ لها إلا الحصول على الملذات دون النظر إلى وسائل تحصيلها، لكن الصورة على العكس تماماً عند الرجال المؤمنين الذين ينضبطون بالأخلاق الكريمة والفطرة السليمة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠].

رابعاً: إتيان المنكرات:

لم يكتفِ قوم لوط بقطع الطريق، بل اتبعوه بإتيان المنكرات في مجالسهم فازداد الأمر سوءاً؛ لأن حياة هكذا من العسير أن يعيش فيها الشرفاء الأطهار الذين تأبى نفوسهم هذه الدونيات والسفاهات، لذا أُلحقت هذه الصفة بصفات رذيلة مثلها، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ﴾ [العنكبوت:٢٩].

فقد اقترف هؤلاء أشباه الرجال ما تنكره الشرائع والعقول والمروءات وما لا يليق من الأقوال والأفعال [١].

---

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٥٧٤ .

وقد كانت أندية القوم تعج بالمنكرات وتمتليء بها، منها أنهم يتظالمون فيما بينهم ويشتم بعضهم بعضاً ويتضارطون في مجالسهم، ويلعبون بالنرد ويتناطحون بالكباش، ويطرفون أصابعهم بالحناء وتتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال ويضربون المكوس [١] على كل عابر، ومع هذا يشركون بالله، وهم أول من ظهر على أيديهم اللوطية والسحاق [٢].

إن الإيمان يعصمُ أتباعه من الانحطاط بمهاوي السوء ومدارك الفحش فإذا خلا قلب العبد من الإيمان يتربع عليه الشيطان فحينئذ لا يستبعد ممن كان حاله هكذا أن يفعل أي شيء حتى لو خالف الفطرة، ولهذا استنكر رسول الله لوط عليه السلام على قومه انتكاس فطرتهم فقال مستغرباً: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف:٨١].

فالآية تزيد من التنفير في إتيان الرجال فهو قبيح عقلاً وشرعاً، وترك الاستمتاع بالمرأة الحلال قبيح كذلك عقلاً وشرعاً؛ لأن في هذا تجاوز اً لمحلِّ الشهوة وصرفها في وجوه أخرى محرمة.

---

(١) المكوس رسوم المرور الظالمة .

(٢) التفسير المنير ٢٠/ ٢٣١ .

خامساً: انقلاب الموازين في مجال الرجولة:

إن انقلاب التصورات والمفاهيم وانحرافها عن مسارها الطبيعي هي من صفات أشباه الرجال كأن تصبح القوامة في البيت للمرأة بدلاً من الرجل، وقد أوضح الحق تبارك وتعالى أن المسئولية في الأسرة تقع على عاتق الرجل ويتأكد هذا بتكليف الرجال بالرعاية والإنفاق والتدبير والتأديب، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء:٣٤].

وهذه القوامة ليست استبداداً أو تعسفاً أو تسلطاً، وإنما هي تكليف بالإدارة والرعاية والولاية والنفقة، وهذا التكليف عبء على الرجال أكثر من النساء [١].

وتفضيل الرجال على النساء ليس فيه إهمال للمرأة أو إنقاص من أهليتها أو الطعن في كفايتها وعلمها، وإنما هو توزيع للواجبات بما يتفق مع طبيعة وفطرة وقدرة كل من الرجل والمرأة، فالإسلام بهذا أراد أن يصون المرأة ويحافظ على كرامتها وألا يعرضها للأذى والسوء [٢].

---

(١) التفسير الوسيط ١/ ١٢٥ .

(٢) انظر التفسير الوسيط ١/ ١٢٤ .

سادساً: إذا أصبح الكذب رجولة:

إذا كانت صفة الكذب هي الرجولة للتخلص من المواقف المحرجة، وإذا أصبحت الرجولة تتمثل في عدم الوفاء بالعهود والمواثيق وعدم الالتزام بالشروط، فهذا يعني انقلاب الهرم في عقل من يرى ذلك، فالرجولة الحقة في إسلامنا الذي يدعو إلى الالتزام والتطبيق الدقيق الأمين للعهود والمواثيق والصدع بالحق، وأن يكون المسلم صادقاً، ويظهر العيب إن وجد عنده أو عند غيره في حدود الأدب وبما يتفق مع روح الشريعة الإسلامية، ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ حينما مر على رجل يبيع طعاماً، فوضع يده فيه فأصابه البلل، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله، فقلبه فجعل الجيد فوق الردئ فقال ﷺ: «ألا أظهرته من غشنا فليس منا» [1].

---

(١) أخرجه مسلم، ج١، ك الإيمان، باب ٣، ص ٩٩، حديث رقم (١٦٤)، وأيضاً الترمذي ٣/ ٦٠٦، حديث رقم (١٣١٥).

الرجولة والنبوة

أرسل الله - ﷻ - الرسل وبعث الأنبياء وكلهم بلغوا الكمال في صفات الرجولة، ولم يرسل الله - ﷻ - أنثى قط، مصداقًا لقوله - تعالى -: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾ [يوسف:١٠٩]، فالمرأة لا تكون رسولاً منه سبحانه؛ لأن مهمة الرسول أن يلتحم بالعالم التحامَ بلاغٍ، والمرأة مطلوب منها أن تكون سكناً.

كما أن الرسول يُفترض فيه ألاّ يسقط عنه تكليف تعبديّ في أي وقت من الأوقات؛ والمرأة يسقط عنها التكليف التعبدي في أثناء الطمث، ومهمة الرسول تقتضي أن يكون مُسْتوفي الأداء التكليفي في أيِّ وقتٍ.

أما من قال بنبوة مريم وأم موسى - عليهما السلام - مستدلاً على ذلك بالوحي لهما فمردود عليه بأن الوحي هنا بمعنى الإلهام ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [النحل:٦٨]، وقوله ﷺ في حديث الذي قتل مائة نفس: «**فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى**

هذه أقرب بشبر فغفر له»[١]. والوحي هنا إلى أرض المعصية وأرض التوبة، ولم يقل أحد بنبوة النحل أو الأرض؟!

كما أن الله- ﷻ - قد حسم القضية بقوله - تعالى -: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة:٧٥]، ولم يقل نبية، بل إن كفار قريش يعلمون أن الأنبياء رجال فقد حكى الله عنهم قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف:٣١]، وقولهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام:٩].

إن الرسل الكرام هم أكمل الرجال وذلك؛ لأنهم اتصفوا بكل صفات الرجولة التي ذكرناها سابقاً ولأن رجولتهم نشأت على أصول عظيمة من أصول التربية على مفاهيم الدين والإيمان والدعوة إلى الله على هدى وبصيرة، ومن خلال إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكانت مواقف الأنبياء والمرسلين لا يقفها إلا أعظم الرجال وأشجعهم في تغيير الحياة الجاهلية برمتها ويشهد على ذلك موقف

---

(١) متفق عليه.

إبراهيم عليه السلام أمام النمرود، وأثناء محاجته لقومه بعد أن حطم الأصنام بكل شجاعة وإقدام قال تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٠].

ووقوف نوح عليه السلام أمام أمة عاتية ماكرة ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ليلاً ونهاراً وخفية وجهرة وما آمن معه إلا قليل، ثم دعا عليهم بالهلاك: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح:٢٧].

وأيضاً لقد وقف موسى عليه السلام أمام جبروت فرعون الطاغية موقفاً رجولياً فيه من البطولة والفداء والإصرار على ثوابت الدعوة إلى الله عز وجل ما فيه، قال تعالى: ﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الذاريات:٤٠].

ووقوف نبي الله هود عليه السلام أمام أمة مستكبرة متجبرة يبنون بكل ريع آية يعبثون، وإذا بطشوا، بطشوا جبارين (وهم قوم عاد) كما أخبر

الله عنهم على لسان نبيه هود عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ [هود:٦٠].

ولقد دعا شعيب عليه السلام قومه أهل مدين إلى عبادة الله وحده ونهاهم عن المنكرات والفساد، وذكّرهم بنعم الله عليهم وأمرهم بالإصلاح وقابلوه بالعداء والتكذيب، فهددوه بالرجم، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ [هود:٩١].

ولما ضاقوا به ذرعاً خيروه ومن آمن معه بين الخروج من القرية أو الرجوع إلى ملة الكفر والإفساد، قال تعالى: ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأعراف:٨٨].

وردّ شعيب والرجال الذين آمنوا معه الرد المفعم بالإيمان، قال تعالى: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ ﴾ [الأعراف:٨٩].

وأوضح شعيب عليه السلام ومن آمن معه أن الارتداد إلى الكفر لا يمكن أن يكون بعد أن مست شعلة الإيمان القلوب وفوضوا أمرهم إلى

الله وحده، ثم ختموا الحديث بالدعاء [١]:﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف:٨٩]، فاستجاب الله دعاء الرجال المؤمنين بأن سلط الله الحر الشديد على الكافرين حتى غلت مياههم ثم ساق إليهم غمامة ففروا إلى الاستظلال بها من شدة الحر، وجاءتهم الصيحة وأمطرت عليهم السماء ناراً فاحترقوا [٢]، قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشعراء:١٨٩].

وتمت نجاة شعيب عليه السلام والفئة المؤمنة برحمة من الله، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود:٩٤].

(١) انظر تفسير الفخر الرازي ، مجلد ٧ ، ج١٤ ، ص ١٨٨ .

(٢) مع الأنبياء في القرآن ، ص ٢٠٢ .

الرجولة وعلامات الساعة

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا لا يحدثكم به غيري، قال: **من أشراط الساعة أن يظهر الجهل ويقل العلم ويظهر الزنا وتشرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم رجل واحد.**[١].

وذكر قلة الرجال وكثرة النساء مع ارتكاب الكبائر وظهور الجهل وقلة العلم يدل على أن قلة الرجال وكثرة النساء أمر سيئ تترتب عليه مفاسد كثيرة. وقوله القيم الواحد أي الذي يقوم بأمورهن ويحتمل أن يكنى به عن اتباعهن له لطلب النكاح حلالاً أو حراماً وفي الحديث الإخبار بما سيقع كما قال ابن حجر في فتح الباري.

وقيل القيم أي المنفرد لمصالحهن وليس المراد أنهن زوجات له بل أعم منها ومن الأمهات والجدات والأخوات والعمات والخالات[٢]. و في الحديث إشارة إلى الحروب الطاحنة التي تقع في آخر الزمان، لأن غالب وقود الحروب هم الرجال، فيقل الرجال حتى يصبح لكل خمسين امرأة رجل واحد.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح .

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا.** [١] والمراد به المهدي.

(١) رواه أبو داود وقال عنه الألباني حديث حسن صحيح. .

أمور ليست من الرجولة

لقد فقدت الرجولة اليوم كثيراً من معانيها الحقيقية، فترى الناس اليوم يزعمون أنهم رجال، يقوم كل واحد منهم فيقول: أنا رجل، ولكن في الحقيقة: ماذا تنطوي عليه هذه الرجولة؟ ما هو مضمونها؟ مِن الناس اليوم مَن يظن أن الرجولة عبارة عن فتل الشوارب، وتربية هذه الشنبات وإطالتها، يظن أن هذه هي الرجولة، وهو مخالف لسنة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً.

مِن الناس مَن يظن الرجولة اليوم هي الأخذ بالثارات وقتل الأبرياء، وتراه يقول: هؤلاء ليسوا رجالاً، ما أخذوا بثأرهم، وهؤلاء رجال أخذوا بثأرهم فقتلوا فلاناً، ولو كان ليس له ذنب.

ومِن الناس مَن يظن اليوم أن ارتكاب المحرمات هي الرجولة، فترى بعض الأحداث اليوم لكي يبرهنوا لأنفسهم وللناس أنهم رجال، يقعد أحدهم ويدخن -مثلاً- ويزعم أن التدخين رجولة، ويسافر وحده إلى الخارج، ويعبث بالمحرمات، وينتهك حدود الله ﷻ، ويزعم أن هذه هي الرجولة.

ومِن الناس مَن يظن أن الرجولة رفع الصوت أو الصياح في البيت، وفرض الرأي بقوة العضلات والبطش وغير ذلك؛ يظنون أن هذه هي الرجولة.

يظن أحدهم أن الرجولة أن ينفخ على الخدم والموظفين، ويطرد من يشاء، ويُبقي من يشاء؛ يظن أن هذه هي الرجولة. كلا أيها الإخوة! ليست الرجولة ارتكاباً للمحرمات، ولم تكن الرجولة يوماً من الأيام في تاريخ الإسلام البطش والاعتداء على الأبرياء، كلا.

ومما ورد في مزاح أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ما رواه البخاري عن بكر بن عبد الله المزني قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يتمازحون حتى يتبادحون بالبطيخ، فإذا حزبهم أمر كانوا هم الرجال»[١]

وكما قال الأوزاعي عن بلال بن سعد: «أدركت أقواماً يشتدون بين الأغراض يضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل كانوا رهباناً»[٢]. وهكذا كانوا، رضي الله عنهم، كما قال ابن تيمية رحمه الله: «فرساناً بالنهار رهباناً بالليل».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كان القوم يضحكون والإيمان في قلوبهم أرسى من الجبال».

لقد كان ترويحهم وضحكهم وسمرهم وسفرهم وترفيههم لا يضعف إيمانهم، ولا يفسد أخلاقهم، لا يتعدى وقتُ الترويح على

(١) حديث صحيح رواه البخاري في الأدب المفرد.

(٢) حلية الأولياء ٥ / ٢٢٤.

أوقات الصلاة وذكر الله وصلة الرحم وقراءة القرآن، أولئك هم الرجال: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧].

كانوا يروّحون عن أنفسهم بعيداً عن سهر في ليل طويل، وسمر فارغ هزيل، يخل بحقوق كثيرة، ومنها حق الجسم، وحق الأهل، وفوق ذلك حق الله تبارك وتعالى.

إذا قرأنا سيرهم وتاريخهم نرى عدم الإفراط في استهلاك المباح لعلمهم بأن المهمة الكبرى للإنسان هي عبادة الله ولأن الوقت ثمين ومن منهج الإسلام عدم الإفراط في كل شيء حتى ولو كان في الصوم والصلاة والجهاد فكيف باللهو والترويح، كل ذلك حتى لا تُضَّيع الحقوق الأخرى وفي هذا يقول ﷺ لأحد الصحابة رضي الله عنه: «صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً»(١).

ويظن آخرون أن الرجولة تقتضي معاملة الزوجة بشدة وقسوة وتهديدها بالطلاق بين الفينة والأخرى.

---

(١) رواه البخاري.

هاهو سيد الرجال محمد ﷺ لم يترك فرصة إلا ومنح فيها المرأة لمسة دفء أو تقدير، حتى المرح لم ينس نصيب المرأة منه. فقد كان يداعب زوجاته ويمازحهن ويمرح معهن.

تقول عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن - أي لم تسمن - فقال للناس: تقدموا. فتقدموا ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقته. فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا، ثم قال: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك ويقول: هذه بتلك[1]. عظيم أنت يا رسول الله!.

لم تنس إدخال السرور على قلب زوجتك حتى في لحظات التعب. هذا السفر الشاق المرهق والطريق الطويل، تتذكر فيه إسعاد زوجتك وإدخال السرور إلى قلبها.

لم يمنعك وجود الصحابة معك أن تتذكر إدخال السرور على قلب زوجتك. وكيف ذلك وأنت من قال: أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب مسلم.

---

(١) رواه أحمد.

وفي مشهد آخر مع زوجته عائشة، نراه يتبسم معها ويراعي مشاعرها. فحين أرادت أن تلعب، لم يسخر منها ومن اهتماماتها الطفولية، بل تفاعل معها وأدخل السرور على قلبها.

أخرج أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قَدِمَ رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سَهْوَتِها سِتْرٌ، فهبّت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لي - لُعَبٍ - فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي! ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس! قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان؟ قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك، حتى رأيت نواجذه [1].

أين هم الرجال اليوم ليتعلموا أن مشاغل الحياة مهما كانت، يجب ألا توقف تيار السعادة بين الزوجين، وأن هموم الحياة، مهما زادت على الرجل، عليه ألا يجعلها تنسيه إدخال الفرحة على قلب زوجته التي استأمنه الله عليها؟

وقد كان النبي ﷺ لا يغفل جانب الترفيه الذي تحتاجه الزوجة من وقت لآخر، وأنها تحتاج إلى بعض من اللهو والمرح. فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي

(١) رواه أبو داود والنسائي

والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم بين كتفه اليسرى وعينيه، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف.»[١]

وقد وصلت السعادة والمرح مع زوجاته إلى حد يكاد لا يصدقه عقل. فها هما زوجتاه عائشة وسودة تمزحان معا أمامه وهو يضحك: روى أبو يعلى في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتيت النبي ﷺ بحريرة قد طبختها له - أي أنها أتته بنوع من الطعام - فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينهما: كلي، فأبت. فقلت: لتأكلن أو لألطخن وجهك، فأبت. فوضعت يدي في الحريرة، فطليت وجهها، فضحك النبي ﷺ، فوضع بيده لها، وقال لها: الطخي وجهها - أي أنه وضع من تلك الحريرة في يده لسودة لتلطخ وجه عائشة رضي الله عنها - فلطخت وجهها، فضحك النبي ﷺ لها[٢].

أي مرح هذا؟ الله اكبر إنها الرجولة التي في طياتها الرحمة والوفاء.

إن الرجولة لها معانٍ سامية، وحقائق علوية، تأخذ هذا الصنف من الناس فترفعهم.

---

(١) رواه أحمد

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده بإسناد صحيح

إن حاجة الإسلام اليوم إلى الرجال عظيمة، الإسلام اليوم تنتهك حرماته في شتى أقطار الأرض، لم تعد تقم للإسلام قائمة في وسط هذه الدياجير المظلمة من الشرك والجاهلية، إلا من رحم الله ﷻ من أفراد تلك الطائفة المنصورة، التي استقامت على شرع الله ﷻ.

الرجال بهذه الصفات التي ذكرناها آنفاً: - عبادة. - عمل. - استقامة. - دعوة إلى الله. - صبر على الأذى في سبيل الله. - إعانة الرسل ودعوتهم ونصرتُهم. - والقيام في مواطن الفتن. - وتثبيت الناس على الإسلام.

علِّمني يا أبت الرجولة

إن موضوع تنمية عوامل الرجولة عند الأطفال هو من المشكلات التّربوية الكبيرة في هذا العصر، وهناك عدد من الحلول الإسلامية والعوامل الشرعية لتنمية الرّجولة في شخصية الطّفل، ومن ذلك ما يأتي:

١- التكنية:

أي مناداة الصغير بأبي فلان أو الصغيرةِ بأمّ فلان، فهذا ينمّي الإحساس بالمسئولية، ويُشعر الطّفل بأنّه أكبر من سنّه فيزداد نضجه، ويرتقي بشعوره عن مستوى الطفولة المعتاد، ويحسّ بمشابهته للكبار، وقد كان النبي يكنّي الصّغار؛فعَنْ أَنَسٍ قَال:«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ: أَحسبُهُ فَطِيمًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**»! وهو طائر صغير كان يلعب به.[١].

وعَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ قالت: أُتِيَ النَّبِيُّ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ (الخميصة ثوب من حرير) فَقَالَ: **مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ؟**

---

(١) رواه البخاري

فَسَكَتَ الْقَوْمُ، قَالَ: ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ. فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ (وفيه إشارة إلى صغر سنّها) فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا وَقَالَ: (**أَبْلِي وَأَخْلِقِي**)، وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ فَقَالَ: (**يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاه**)، وَسَنَاه بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ»[١].

٢- أخذه للمجامع:

ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل أخذه للمجامع العامة وإجلاسُه مع الكبار؛وهذا مما يلقّح فهمه ويزيد في عقله، ويحمله على محاكاة الكبار، ويرفعه عن الاستغراق في اللهو واللعب، وكذا كان الصحابة ﷺ يصحبون أولادهم إلى مجلس النبي ومن القصص في ذلك: ما جاء عن مُعَاوِيَةَ بن قُرَّة عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كَانَ نَبِيُّ اللهَّ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ.. الحديث».[٢]

٣- قصص السلف:

ومما ينمي الرجولة في شخصية الأطفال تحديثهم عن بطولات السابقين واللاحقين والمعارك الإسلامية وانتصارات المسلمين؛ لتعظم الشجاعة في نفوسهم، وهي من أهم صفات الرجولة، وكان للزبير بن

---

(١) رواه البخاري. .

(٢) رواه النسائي وصححه الألباني في أحكام الجنائز. .

العوام طفلان أشهد أحدهما بعضَ المعارك، وكان الآخر يلعب بآثار الجروح القديمة في كتف أبيه كما جاءت الرواية عن عروة بن الزبير، وروى ابن المبارك في الجهاد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير «أنه كان مع أبيه يوم اليرموك، فلما انهزم المشركون حمل فجعل يجهز على جرحاهم» وقوله: «يُجهز»أي يُكمل قتل من وجده مجروحاً، وهذا مما يدل على قوة قلبه وشجاعته من صغره.

٤- الأدب:

ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل تعليمه الأدب مع الكبار،ومن جملة ذلك ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَالَ:**يُسلِّمُ الصَّغِيرُ على الكبِيرِ، والمارُّ على القاعِدِ، والقليلُ على الكثِيرِ**»(١).

٥- الاحترام والتقدير:

ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل إعطاء الصغير قدره وقيمته في المجالس، ومما يوضّح ذلك الحديث الآتي: عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيّ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: **يَا غُلامُ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ؟** قَالَ: «مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ»(٢).

---

(١) رواه البخاري

(٢) رواه البخاري

٦- الرياضة:

ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل: تعليمهم الرياضة الرجولية؛كالرماية والسباحة وركوب الخيل وجاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ قَالَ: كَتَبَ عُمَر إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ أَنْ عَلِّمُوا غِلْمَانَكُمْ الْعَوْمَ.(١)

٧- البعد عن الميوعة:

ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل تجنيبه أسباب الميوعة والتخنث؛ فيمنعه وليّه من رقص كرقص النساء، وتمايل كتمايلهن، ومشطة كمشطتهن، ويمنعه من لبس الحرير والذّهب ونحو ذلك مما يخص النساء.

٨- عدم الإهانة:

ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل تجنب إهانته خاصة أمام الآخرين وعدم احتقار أفكاره وتشجيعه على المشاركة و إعطاؤه قدره وإشعاره بأهميته، وذلك يكون بأمور مثل:

إلقاء السّلام عليه، وقد جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ اَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِم.(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد في أول مسند عمر بن الخطاب . .

(٢) رواه مسلم

ومثل استشارته وأخذ رأيه،،أيضاً توليته مسئوليات تناسب سنّه وقدراته وكذلك استكتامه الأسرار، ويصلح مثالاً لذلك حديث أَنَسٍ قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهَّ لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهَّ أَحَدًا»[١]. وفي رواية عن أَنَس رضي الله عنه قال: انْتَهَى إِلَيْنَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَأَنَا غُلامٌ فِي الْغِلْمَانِ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَار- أَوْ قَالَ إِلَى جِدَار - حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ»[٢].

وعن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: كُنْتُ غُلامًا أَسْعَى مَعَ الْغِلْمَانِ فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِنَبِيِّ اللهَّ ﷺ خَلْفِي مُقْبِلاً فَقُلْتُ: مَا جَاءَ نَبِيُّ اللهَّ إِلا إِلَيَّ، قَالَ: فَسَعَيْتُ حَتَّى أَخْتَبِئَ وَرَاءَ بَابِ دَار، قَالَ: فَلَمْ أَشْعُرْ حَتَّى تَنَاوَلَنِي فَأَخَذَ بِقَفَايَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً (ضربه بكفّه ضربة ملاطفة ومداعبة)،فَقَالَ: اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ: وَكَانَ كَاتِبَهُ فَسَعَيْتُ فَأَتَيْتُ مُعَاوِيَةَ فَقُلْتُ: أَجِبْ نَبِيَّ اللهَّ فَإِنَّهُ عَلَى حَاجَةٍ». [٣]

---

(١) رواه مسلم

(٢) رواه أبو داود

(٣) رواه الإمام أحمد في مسند بني هاشم .

٩- تعليمه الجرأة:

وأقصد الجرأة في مواضعها ويدخل في ذلك تدريبه على الخطابة.

١٠- الحشمة:

الاهتمام بالحشمة في ملابسه وتجنيبه الميوعة في الأزياء وقصّات الشّعر والحركات والمشي، وتجنيبه لبس الحرير الذي هو من طبائع النساء.

١١- البعد عن الترف:

إبعاده عن التّرف وحياة الدّعة والكسل والرّاحة والبطالة،وقد قال عمر: (اخشوشنوا فإنّ النِّعَم لا تدوم)؟، ومن أصبح أسير الشهوات والملذات صعب عليه تركها وأصبحت إرادته هشة ضعيفة،وروى البيهقي في سننه عن أبي عثمان النهدي قال: أتانا كتاب عمر بن الخطاب ونحن مع عتبة بن فرقد بأذربيجان: «أما بعد: فاتزروا وانتعلوا وارتدوا وألقوا الخفاف والسراويلات، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإياكم والتنعم وزي العجم، وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب، وتمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا وانزوا على الخيل نزوًا».

١٢- البعد عن مجالس اللهو:

تجنيبه مجالس اللهو والباطل والغناء والموسيقى؛ فإنها منافية للرّجولة ومناقضة لصفة الجِدّ.

هذه طائفة من الوسائل والسّبل التي تزيد الرّجولة وتنميها في نفوس الأطفال[١].

(١) من رسالة بعنوان أطفالنا ومعاني الرجولة،للشيخ محمد بن صالح المنجد،دار الوطن.

المرأة والرجولة

قال العلماء: الزمن يحوي الليل والنهار، وجنس الإنسان يحوي الذكر والأنثى، ولكل منهما مهمته، فكما أن الليل للسكنى والهدوء والنهار للكدح والعمل، فالرجل بمنزلة النهار، والمرأة بمنزلة الليل.

لذا جمع بينهما رب العزة سبحانه فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل:٤].

ولا ينبغي أن يتمنى الرجل أن يكون امرأة، ولا المرأة أن تكون رجلاً، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ [النساء:٣٢]. يقول ابن كثير: نزلت في نسوة قالوا: ليتنا كنا رجالاً فنغزو كما يغزون ونجاهد كما يجاهدون، جاءت امرأة إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام تقول: يا رسول الله، إن الله كتب الجهاد على الرجال، فإن يصيبوا أجروا وإن قتلوا فهم أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن نقوم على شؤونهم فما لنا في ذلك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك وقليل منكن يفعله**»(١).

---

(١) البزار والطبراني.

جرت العادة على وصف المرأة بالرجولة عندما تحسن التصرف في موقف من المواقف التي تعودها الناس أن لا تصدر إلا من الرجال.

يقولون: فلانة وقفت وقفة رجل.. و أحيانا توصف بأنها بمائة رجل من فرط الإعجاب بها في حين تسلب صفة الرجولة من بعض الرجال عندما يقفون وقفة لا تليق بالرجال..!!

عندما تخلى بعض الرجال و فروا أمام العدو في معركة أحد وقف رسول الله ﷺ في ثبات وحده.. جاءت امرأة من المسلمين لتأخذ دور الرجولة في موقف يجب أن تتجلى فيه فأخذت سيفاً من يد أحد الفارين و وقفت وقفة رجل مع رسول الله ﷺ و الجراح تتفجر دماً من جسدها و لا تبالي لما أصابها حتى أنقذت رسول الله ﷺ و هو يقول:من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟؟، ويأتي ضارب ابنها فيقول عليه الصلاة والسلام: (هذا ضارب ابنك)، قالت: فأعترض له فأضرب ساقه فبرك، فتبسم عليه السلام حتى رأيت نواجذه وقال: «استقدتِ يا أم عمارة»، وجرحت اثني عشر جرحًا، فنظر النبي عليه السلام إليه ويقول لولدها: «أمك أمك، اعصب جرحها، اللهم اجعلهم رفقة لي في الجنة»، قالت أم عمارة بعدها: ما أبالي ما أصابني من الدنيا[1].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٩).

و إذا كان الرسول ﷺ قد لعن المتشبهات من النساء بالرجال،فإنه بارك مواقف الرجولة من بعض نساء المؤمنين كأمثال أم عمارة و ذلك في ميادين الحق و القتال و نصرة الدين،إذاً الرجولة صفة يحبها الله و رسوله لكل الناس رجالا كانوا أم نساء..

وهذا أديب يهنيء من رزق بنتاً من أصحابه، فيقول له كما في هذه القطعة الأدبية الجميلة للصاحب ابن عباد[1] - وكان أديباً -:

أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء، وأم الإبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد والأطهار، والمبشرة بأخوةٍ يتناسقون، ونجباء يتلاحقون.

فلو كان النساء كمن ذكرن لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب وما التذكير فخر للهلال

والله تعالى يعزُّفُكَ البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها، فإستأنفْ نشاطاً، فالدنيا مؤنثةٌ، والرّجالُ يخدمونها، والأرضُ مؤنثةٌ، ومنها خلقت البرية، ومنها كثرت الذرية، والسماء مؤنثة وقد زُيِّنَت بالكواكب، وحُلِّيَتْ بالنجم الثاقب، والنفس مؤنثة وهو قِوامُ الأبدان، وملاك الحيوان، والجنةُ مؤنثةٌ، وبها وُعِدَ المتقون، وفيها ينعم المرسلون، فهنيئاً لك بما أُوتيتِ، وأوزعكِ الله شكر ما أُعطيتِ.

---

(١) انظر نهاية الأرب في فنون الأدب .

وهاهي صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، تِلْكُم المرأة الحازمة التي ربَّتْ للأمة أول فارس سلَّ سيفاً في سبيل الله، توفي عنها زوجها وترك لها الزبير -وهو طفل صغير- فنشَّأته على الخشونة والبأس، وربَّتْه على الفروسية، لم تُنشِّئْه على التنعُّم والترفُّه والميوعة حتى أصبح الأطفال والرجال -الآن- أشباه رجال ولا رجال، جعلت لعبَه في برْيِ السهام وإصلاح القسي-، لم تجعل لعبه في لعب الكرة، وفي مطاردة الدراجات في الشوارع يميناً وشمالاً؛ يتسكعون.

كانت تقدمه في كل مخوفة، وكانت ترميه في كل خطر؛ تريد أن يكون لَبِنَة صالحة في هذا المجتمع؛ فإذا تردد عنها ضربته وأوجعته، حتى إنَّ أحد أعمامه يوماً من الأيام قال لها: إنكِ تضربينه ضربَ مبغضةٍ لا ضرب أم، فارتجزت قائلة:

من قال قد أبغضته فقد كذب وإنما أضربه لكي يَلَب ويهزم الجيش ويأتي بالسلب.

هاجرت إلى المدينة النبوية، وهي تقفو إلى الستين من عمرها، تركت مدارج الشباب، وتركت مكة، وهاجرت بدينها فارَّةً إلى الله -جل وعلا- في المدينة، شاركت في يوم أحد لما رأت ما حل بالمسلمين، وهي تسقيهم بالماء، هبَّت كاللبؤة، وانتزعت رمحاً من أَحَد المنهزمين، ومضَتْ تشق الصفوف به، وتزأر وتقول: «ويحكم أتنهزمون عن رسول

الله ﷺ؟» فلما رآها النبي ﷺ خشيَ أن ترى أخاها حمزة وقد مثَّل به المشركون؛ فما كان منه إلا أن أشار إلى ابنها الزبير، وقال: «دونك أمك»،

فقال الزبير: «يا أماه! إليكِ يا أماه إليكِ.

قالت: تنحَّ عني، لا أمَّ لك.

فقال: إن رسول الله يأمركِ أن ترجعي.

قالت: الأمر أمر الله وأمر رسوله» فتوقفت.

ثم قالت: «والله لقد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي حمزة ولأصبرنَّ، وذلك في ذات الله وفي سبيل الله» ثم انتهت المعركة، وما كان منها إلا أن وقفت على أخيها وقد بُقرَ بطنُه، وأُخرِجت كبدُه، وجُدِع أنفه وأُذناه، وشُوِّهَ وجهُه، فاستغفرت الله له، وجعلت تقول: «في ذات الله، لقد رضيت بقضاء الله لقد رضيت بقضاء الله».

رضي الله عنها لم تلطم خدّاً، ولم تُشق جيباً، ولم تنُحْ، وما كان لها أن تكون كذلك.

وها هي في يوم الخندق يوم وضع النبي ﷺ النساء في حصن حسان -وهو حصن من أمنع الحصون- ولم يترك معهن أحداً من الرجال، فذهب الجيش إلى الخندق، وما كان منها إلا أن رأت يهودياً يتسلل إلى القصر، وإلى هذا الحصن يريد أن ينظر هل في الحصن رجال

أم يستخلي اليهود بهذا الحصن؛ ليسلبوا النساء والذراري؟

لما رأته أخذت عموداً من الحصن، ثم هجمت عليه حتى قتلته، ثم لم تكتف بذلك فاحتزت رأسه واقتطعته، وأخذته وخرجت إلى أعلى الحصن، ثم رمَتْ برأسه على اليهود يتدحرج بينهم، فقالوا: قد علمنا أن محمداً لن يترك النساء بلا رجال.

رضي الله عن صفية، ربَّت وحيدها أحسن تربية، وأُصيبَتْ في شقيقها، فاحتسبت ذلك، وعملت لهذا الدين، وحملت همَّ هذا الدين فلله درها.

وهذه أم حبيب بن زيد يأتيها الخبر بموت ابنها قتلاً على يد مسيلمة الكذاب، ويا لهول الخبر! وجدير بأمهات المسلمين وبأمهات الشباب والشابات أن يقفن مع هذه الأم ليدرسن سيرتها يوم جاءها خبر ابنها الذي قطع إرباً إرباً وهو يقول: محمد رسول الله، اسمع إلى ذلك المحضر الخالد لذلك الرجل- ما زادت -والله- يوم جاءها الخبر على أن قالت: «من أجل هذا الموقف أعددته، وعند الله احتسبته، لقد بايع الرسول ﷺ ليلة العقبة صغيراً، ووفَّى له اليوم كبيراً، فحمدت الله ﷻ كثيراً».

هل وقفت عاجزة تبكي ابنها وتندب حظها؟لا.

بل في يوم اليمامة كانت تشق الصفوف كاللبؤة الثائرة تنادي: أين عدو الله مسيلمة؟ فوجدته مجندلاً على الأرض، سيوف المسلمين قد ارتوت من دمه، فطابت نفساً، وقرَّت عيناً ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٢]، مضى حبيب و مسيلمة إلى ربهما، وشتَّان ما بينهما، فريق في الجنة، وفريق في السعير.

وهاهو أبو قدامة الشامي[١] يقف خطيباً في يوم من الأيام على المنبر يَعِظ الناس، ويذكرهم بفضيلة الجهاد في سبيل الله جل وعلا.

ماذا كان من هذا الرجل؟

خرج من المسجد، وقد اشْرَأَبَّتْ الأعناق للذهاب إلى القتال في سبيل الله، وخرج يمشي- في شارع من شوارع مدينته، وإذا بهذه المرأة تقول: يا أبا قدامة! السلام عليك، فلم يرد'؛ لأنه خشي- أن تفتنه؛ لأن نبيه ﷺ يقول: «فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[٢] فلم يرد عليها في الأولى، ولا في الثانية، وفي الثالثة قالت: السلام عليك يا أبا قدامة! ما هكذا يفعل الصالحون.

---

(١) أختاه هل تريدين السعادة-الشيخ على القرني.

(٢) رواه مسلم. .

قال: فتوقفت فتقدمت إليّ، وقالت: سمعتك وأنت تشحذ الهمم للجهاد في سبيل الله، وفتشت، فلم أجد -والله- أغلى عندي من ضفيرتَيْ شعري، فقصصتهما، فخذهما، واجعلهما لجاماً لِفَرَسِك في سبيل الله؛ علَّ الله أن يكتبني من المجاهدات في سبيله.

ولا إله إلا الله تقصُّ ضفائرها لجاماً لخيل الله ولجند الله، وأخرى تقصُّ ضفائرها لتكون أشبه بالبغايا العاهرات، شتان بين مشرق ومغرب! شتان بين الفريقين!

أرأيتم هذه المرأة في اليوم الذي بعده؟ يقول أبو قدامة: وقد انطلقنا نريد الجهاد في سبيل الله، قال وإذا بطفل يأتي ويلحق بنا، ويقول: يا أبا قدامة! سألتك بالله أن تجيزني في القتال في سبيل الله.

قال: تطؤك الخيل بحوافرها.

قال: سألتك بالله إلا أخذتني.

قال: إن قُتلت تشفع لي عند الله شرط؟ قال: نعم.

فأخذه معه على فرسه، وانطلقوا حتى قابلوا الروم، وحينما قابلوهم قال: سألتك بالله ثلاثة أسهم.

قال: تضيعها إذاً.

قال: سألتك بالله ثلاثة أسهم، فأعطاه، فأخذ سهماً، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة! باسم الله، ثم أطلقه، فقتل رومياً، ثم أطلق الثاني

فقتل رومياً، ثم أطلق الثالث فقتل رومياً ثالثاً، ثم جاءه سهم فضربه في لُبته، فأرداه من فوق الفرس وهو يقول: السلام عليك يا أبا قدامة! سلام مودع، ثم سقط فسقط وراءه أبو قدامة، وقال: لا تنسَ الوصية، لا تنسَ الوصية.

فما كان منه بعد ذلك إلا أن قال: خذ هذا وأعطِه أمي.

قال: ومن أمك؟ قال: أمي صاحبة الضفيرتين التي أعطتك إياها بالأمس.

أرأيتم إلى البيوت المسلمة يوم تُربَّى على لا إله إلا الله محمد رسول الله، المرأة مربية الأجيال.

والأم مدرسة إذا أعددتها أعدت شعباً طيِّب الأعراق

وهذه أم الإمام أحمد الذي يموت أبوه عنه وهو صغير، فتكفله أمه الزاهدة العابدة الصائمة القائمة، تقوم بتربيته،وهذا دور المرأة يوم تكون صالحة.

تنتج اللَّبِنات الصالحة، نشَّأت ابنها على حب الله ورسوله، وعلى حب كتاب الله، يقول أحمد:«حفَّظتني القرآن وعمري عشر سنوات»، ومن حفظ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيْه.

يقول: كانت توقظني قبل صلاة الفجر بوقت ليس بالقصير،

وتدفئ لي الماء؛ لأن الجو كان بارداً في بغداد، وتُلبسُني اللباس، ثم نصلي أنا وإياها ما شئنا، ثم ننطلق إلى المسجد وهي مختمرة؛ لأن الطريق كان بعيداً مظلماً موحشاً لتصلي معه صلاة الفجر في المسجد -وعمره عشر سنوات- وتبقى معه حتى منتصف النهار لتعلمه العلم، ولتربيه التربية؛ ليكون لَبِنَةً صالحة ينفعها يوم تقْدمُ على الله جل وعلا.

يقول: فلما بلغت السادسة عشرة قالت: يا بُني! سافِرْ في طلب الحديث؛ فإن طلب الحديث هجرة في سبيل الله.

أعدت له بعض متاع السفر من أرغفة الشعير، ومن صُرَّة ملح، ومن بعض مستلْزَمَات السفر، ثم قالت: إن الله إذا استُودِع شيئاً حفظه، فأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

ذهب من عندها إلى المدينة، وإلى مكة، وإلى صنعاء ليعود الإمام أحمد، وقد قدَّم للأمة ما قدَّم ولأمه -إن شاء الله- من الحسنات مثلما عمل أحمد، ومثل من يعمل بعمل أحمد إلى أن يلقى الله بمنِّه وكرمه، والخير في الأمة كثير وكثير.

وهذا محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية وحقق الوعد الأول للرسول عليه الصلاة والسلام كانت أمه تأخذه كل يوم وهو صغير إلى النهر، وتكلمه عن الشاطئ الآخر، وتحدثه أن الشاطئ الآخر أحد

الأماني الذي يسعى المسلمون إلى فتحه وكل يوم يتفرج على الماء وهي تمنيه وتقول له: نريد أن نعبر ونصل إلى الشط الآخر، وكان يكبر كل يوم ويكبر فيه هذا المعنى، فكبر محمد الفاتح وعنده هذه العاطفة، عاطفة النهر حتى صار شيئاً أساسياً في حياته، فصدق فيه قول القائل: (وراء كل رجلٍ عظيم أم).

وهاهي أم سفيان الثوري، فقد كانت تقول له: يا بني! اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، تشتغل بالمغزل وتبيع الغزل لكي تصرف على ابنها الذي يطلب العلم، ووراء الشافعي أم علمته العلم وكانت أيضاً تغزل، وكانت تنفق عليه.

فالواجب على الآباء والأمهات الاعتناء بتربية أولادهم وتنمية عقولهم، ومشاركتهم في المشكلات والحوادث؛ لكي يتعلموا معنى الرجولة الحقة، عليهم أن يقدموا تنمية عقولهم على الأكل والشرب والملبس.

سمات الرجولة

المبحث الأول

رجال المساجد

تأملات في آية النور في سورة النور:

قال الله عز وجل: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [النور:٣٥]، وفي قراءة: (الله نور السموات والأرض)، وفي قراءة ثالثة: (الله منور السموات والأرض) ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النور:٣٦] ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور:٣٧].

واختلف المفسرون في معنى الآية الأولى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [النور:٣٥] فمنهم من قال: إن المراد بهذا النور هو صفة من صفات الله «أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن»، والنور لا شك

أنه من أسماء الله ﷻ وصفاته، ولكننا نميل إلى غير هذا الرأي؛ لأن مثل هذا الرأي يؤدي إلى شيء من التشبيه؛ لأننا حينما نقول: إن المراد بالنور هنا هو اسم من أسماء الله أو صفة من صفات الله فهذا لا يصلح على مذهب أهل السنة والجماعة؛ لأن صفات الله ﷻ وأسماءه لا يشبهها شيء، والله تعالى يقول: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ﴾ [النور:٣٥]، اللهم إلا إذا قلنا: إن هناك انفصالا بين النور المذكور في أول الآية وبين ما جاء في وسط الآية، فيكون قوله تعالى الله: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النور:٣٥] هو النور الحق الذي هو اسم من أسمائه، وقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النور:٣٥] هذا لا شك أنه مخلوق؛ لأن الله تعالى شبهه بمشكاة فيها مصباح، وأسماء الله ﷻ وصفاته لا يشابهها شيء.

والمراد بهذه الآية هو النور المخلوق، شبه الله ﷻ نور الإيمان الذي يقذفه في قلب العبد المؤمن بأقوى نور عرفه الإنسان وقت نزول الآية، حيث قال: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ [النور:٣٥].

تشبيه الله ﷻ لنوره بمشكاة فيها مصباح ووجه التشبيه في ذلك قوله: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور:٣٥] المشكاة هي الكوة في الجدار التي لا تنفذ إلى

الوراء؛ لأنها تعكس النور إلى الأمام، هذه هي المشكاة، أو المراد بالمشكاة فتيل السراج.

قوله: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور:٣٥] المصباح معناه السراج.

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ [النور:٣٥] والزجاجة هي الأجسام الشفافة التي تشف عما وراءها؛ لأنها تزيد الضوء ضياء.

قوله: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور:٣٥] الكوكب معناه: النجم، أو النجم الكبير، وفي قراءة سبعية ﴿دُرِّيٌّ﴾ [النور:٣٥] بالهمز، من الدرء، ومعناها: قذف الأنوار القوية.

ثم وصف الله ﷻ السراج مرة أخرى فقال: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [النور:٣٥] أي: والذي يوقد هو السراج، والشجرة المباركة هنا هي شجرة الزيتون.

ثم وصف الله ﷻ شجرة الزيتون التي يؤخذ منها الزيت الذي يوضع في هذا السراج بالذات، حيث يقول: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور:٣٥] والشرقية هي الشجرة التي تصيبها الشمس في وقت الشروق، والغربية هي الشجرة التي تصيبها الشمس في وقت الغروب، لكن هذه الشجرة ليست شرقية فحسب، وليست غربية فحسب، لكنها شرقية غربية، أي أن شجرة الزيتون إذا طلعت الشمس أصابتها في وقت

الشرـوق، ولا تغيب عن الشمس حتى تغرب فتصيبها في وقت الغروب؛ لأنها شجرة منفصلة عن غيرها، فيحسن زيتها ويحسن ثمرها، فيصبح زيتها لماعا، بحيث لو نظرت إليه لرأيت كأنه يضيء دون أن تمسه النار، فكيف إذا وضع في السراج ومسته النار؟! ثم وصف الله ﷻ هذا الزيت بقوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور:٣٥]، فالنور الأول هو نور الكوة غير النافذة التي تعكس الضوء، مع نور آخر وهو نور الزجاجة، مع نور السراج الذي وضع فيه زيت شجرة الزيتون التي ليست بشرقية فقط ولا غربية فقط لكنها شرقية غربية، فهذه أنوار شديدة.

وهذا هو المشبه به، فأين المشبه؟ المشبه هو قلب المؤمن، أو الإيمان الذي يقذفه الله ﷻ في قلب المؤمن.

فتقدير هذه الآية: مثل نور الله ﷻ المخلوق الذي وضع في قلب المؤمن حتى يعرف به الحلال من الحرام، والضار من النافع، والخير من الشر، كمثل نور ذلك المصباح الذي وضع في كوة غير نافذة، ووضعت عليه زجاجة وأشعل فيه زيت زيتونة ليست شرقية فحسب ولا غربية فحسب، ولكنها شرقية غربية.

هذا هو المشبه وهذا المشبه به، ووجه الشبه هو اللمعان الشديد.

تحديد مكان تخرج الرجال ووجه علاقة الآية بالتي قبلها يقول ﷻ في الآية الثانية: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [النور:٣٦]،يقول علماء التفسير: هذا جواب استفهام بياني، كأن سائلا يسأل ويقول: أين يوجد هذا الإيمان العظيم الذي هو كسراج يضيء بهذه الأوصاف المذكورة؟ فالله تعالى أجاب على هذا السؤال فقال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [النور:٣٦] ومن هنا نعرف أين يتربى الرجال، وأين يولد الإيمان، وأين يترعرع الإيمان، وأين ينمو، كل هذا ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [النور:٣٦] وهذه البيوت هي المساجد.

قوله: ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [النور:٣٦] أي: تبنى وتشيد، وليس المعنى أن تزخرف وتوضع فيها الكتابات التي تلهي الناس، أو الفرش المزخرفة أو الألوان المزخرفة التي عمد إليها الناس في أيامنا الحاضرة، حتى لقد عددت في مسجد واحد قريب أكثر من ثلاثمائة قنديل يضيء، وليس فيه إلا عشرة رجال يصلون، وهذا خلاف المألوف.

فهذه البيوت هي المساجد، وقد أذن الله تعالى أن ترفع حقيقة بناء وتنظيفاً وتشييداً وتطهيراً واحتراماً وتقديساً، فلا يكون فيها لغو ولا لعب ولا كلام من كلام الدنيا، ولا بيع ولا شراء ولا إنشاد ضالة، ولا أي شيء من هذه الأشياء التي نهى الرسول ﷺ عنها، وإنما ترفع بذكر

الله ﷻ وتطهر لتصبح صالحة للصلاة، ولذلك من علامات الساعة أن يتباهى الناس بالمساجد، فيقال: مسجدنا أجمل من مسجدكم.

بينما لا يقال: مسجدنا أكثر جماعة من مسجدكم.

وكذلك يقال مسجدنا أكثر زخرفة من مسجدكم، ومسجدنا أفضل فرشاً وأحسن ألواناً من مسجدكم.

وهكذا.

أما الإسلام فإنه ينظر إلى الكيف لا إلى الكم، وإلى الحقيقة لا إلى الصورة، ولذلك الله تعالى قال: ﴿أَن تُرْفَعَ﴾ [النور:٣٦] والمراد بها الرفعة الحسية المعقولة، والرفعة المعنوية الحقيقية.

قوله: ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ [النور:٣٦] يقول المفسرون: هذه جملة متعلقة بقوله: ﴿يُوقَدُ﴾ [النور:٣٥] أي: يوقد هذا الإيمان وينشأ هذا الإيمان ويترعرع هذا الإيمان في هذه المساجد التي أذن الله أن ترفع.

قوله: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور:٣٦] هذه هي الرفعة المعنوية. وعلى هذا يكون المكث في المساجد من دلائل الرجولة وعلامات الفحولة، وقد تكاثرت النصوص في فضيلة هذه الخصلة.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما توطن رجل المساجد

للصلاة والذكر إلا تبشبش الله إليه كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم» (١)

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن للمساجد أوتادا الملائكة جلساؤهم إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم» (٢)

ـ وكان كعب يقول: مكتوب في التوراة إن بيوتي في الأرض المساجد وإنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمته، وحق على المزور أن يكرم الزائر. (٣)

ثم بين تعالى في سياق الآيات بعد ذلك التربية الحقيقية والمكان المناسب لهذه التربية فقال: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور:٣٦] والمراد بالتسبيح هنا الصلاة؛ لأن التسبيح كثيرا ما يذكر في القرآن والمراد به الصلوات الخمس، وإن كان يطلق أيضا على ذكر الله عز وجل عامة.

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور:٣٦] الغدو: هو أول النهار.

---

(١) ابن أبي شيبة وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، الترغيب والترهيب ٤٨٨

(٢) أحمد والحاكم ، الترغيب والترهيب ٤٩٣

(٣) ابن كثير ٣/ ٢٨٢ .

والآصال: آخر النهار.

فالغدو صلاة الفجر؛ لأن الغدو يبدأ من نصف الليل إلى نصف النهار، والأصيل يبدأ من نصف النهار إلى نصف الليل، ولو نظرت إلى نصف الليل الأخير ونصف النهار الأول فإنه ليس فيهما إلا صلاة واحدة وهي صلاة الفجر، وكأن صلاة الفجر أصبحت تساوي الصلوات الأربع الأخرى، بل جعلت صلاة الفجر في كفة؛ لأنها تقع في وقت الغدو، وجعلت الصلوات الأربع -الظهر والعصر والمغرب والعشاء- كلها في كفة أخرى؛لأنها تقع في وقت الأصيل كلها، ثم قدمت صلاة الفجر على الصلوات الأربع،مما يدل على أهمية صلاة الفجر.

ولا نرى في المساجد من المسلمين في صلاة الفجر إلا قليلا! أليست صلاة الفجر هي التي يقول الله ﷻ عنها: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء:٧٨] أي: وأمدح قرآن الفجر.

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء:٧٨]، أي: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

ويقول عنها الرسول ﷺ بمعنى هذه الآية: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فيصعد الذين كانوا فيكم فيسألهم الله ﷻ وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون»، أي: في صلاة العصر وصلاة والفجر.

ويقول الرسول ﷺ:«لو يعلمون ما فيهما -أي: العشاء والفجر- لأتوهما ولو حبواً»[١]، وأثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ويقول عليه الصلاة والسلام: «من صلّى العشاء في جماعة فكأنّما قام نصفَ الليل، ومن صلّى الفجرَ في جماعة فكأنّما قام الليل كلّه»[٢].

إذا قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ [الأعراف:٤٦] أي: ذكور وصلوا إلى مستوى الرجال حقاً، فأصبحوا يستحقون كلمة: (رجال) التي لا يستحقها كثير من الناس.

صفات الرجال الذين تربوا في المساجد:

ما صفات هؤلاء الرجال؟ انظر إلى صفات هؤلاء الرجال، لعل الله ﷻ أن يجعلنا منهم وممن يربي أولاده حتى يكونوا في هذا المستوى من الرجولة.

أولا: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور:٣٧].

ثانيا: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧] هاتان صفتان لهؤلاء الرجال في الدنيا، أما جزاؤهم في الآخرة فيقول

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم

سبحانه عنه: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٨].

الصفة الأولى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور:٣٧].

يقول المفسرون: إن هؤلاء الرجال لهم تجارة ولهم بيع وشراء وأموال ومصانع ومتاجر ومزارع، لكنهم يضعونها في أيديهم، ويضعون الحياة الآخرة في قلوبهم، ولذلك لما رأى أحد أصحاب رسول الله ﷺ أحد المسلمين كان قد رفع الميزان في يده يزن البضاعة للمشتري، فلما سمع المؤذن يقول: (الله أكبر) وضع الميزان دون أن يكمل الوزن، ثم هرول إلى المسجد وأغلق دكانه، فقال: «هؤلاء هم الذين عناهم الله ﷻ بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور:٣٧].

ولا يظنن أحد أن المراد بهؤلاء أنهم قوم يعيشون عالة على الناس ويتكففون الناس، وأنهم يعيشون على أوساخ الناس وفتات الصدقة، لا، ولكنهم قوم لهم أعمال، إلا أنهم جعلوا هذه الأعمال المادية الدنيوية في أيديهم والآخرة في قلوبهم، ولذلك وصفهم الله ﷻ بهذه الصفات: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور:٣٧].

نحن الآن نعيش على طرفي نقيض في هذه الحياة، فمن الناس من أغرق في المادية إغراقاً كاملا وأهمل الروح، وهذا يتمثل في الإلحاد

والشيوعية الحاقدة الكافرة، فقدسوا المادة وأهملوا الروح، وأصبحت المادة هي منتهى أمنياتهم.

وهناك آخرون أوغلوا في الروحانية وألغوا المادة إلغاء نهائياً، وصار دينهم، أما دين الإسلام فإنه يوجب على المسلم أن تكون له صنعة وأن تكون له تجارة وأن تكون له وسيلة كسب، لكن هذه كلها لا تلهيه عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولذلك الله تعالى جعلنا -أمة المسلمين- أمة وسطاً بين طرفي نقيض، فلسنا بالأمة المادية التي تقدس المادة وتعبد المادة ولا تعترف إلا بها، ولا بالصوفية التي تهمل الجسد وتقدس الروح، ولكننا أمة كما يقول الله ﷻ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور:٣٧].

هؤلاء الرجال لهم تجارة، ولكن تجارتهم في أيديهم وليست في قلوبهم، فإذا دخل أحدهم في الصلاة وقال: (الله أكبر)، لا تأتي هذه التجارة في مخيلته، فلا يبيع ولا يشتري ولا يأخذ ولا يعطي وهو يصلي، بل هو واقف بين يدي الله ﷻ كما أمر الله ﷻ، لكنه حينما ينصرف من صلاته فإنه الرجل الذي يتعامل مع الناس بأمانة وصدق، والتاجر الصدوق له أجره عند الله ﷻ، وهنا مدح الله المؤمنين وهم أصحاب تجارة فقال: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور:٣٧]، والفرق بين التجارة والبيع أن التجارة هي التي تكون بالإيراد

والاستيراد والبيع الإجمالي، أما البيع فالمراد به البيع الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم.

الصفة الثانية: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧].

إن الناظر إلى واقع الناس اليوم -مقارنة بما في هذه الآية- يجد الفرق البعيد الواضح، قوم تربوا في المساجد وقلوبهم معلقة بالمساجد، ولا يعرفون أي طريق إلا طريق الجنة، ولا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم هم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، وفي المقابل هناك قوم يفسقون ويفسدون ويركبون كل المناكر، ولا يتركون معصية من معاصي الله ﷻ إلا ويركبونها، ثم تجدهم يضحكون بملء أفواههم، الصنف الأول قوم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، وهؤلاء في غفلة لا ينتبه أحدهم إلا حينما يأتي ملك الموت ليجلس عند رأسه ويقول: «أيتها الروح الخبيثة! اخرجي إلى سخط من الله»أما الصنف الأول فإنه كما أخبر الله ﷻ عنهم أنهم يخشون الله ﷻ ويبيتون لربهم سجداً وقياماً ويخافون من النار ويقولون: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان:٦٥]، ولذلك من خاف أدلج، يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «إنه لا يأمن غداً إلا من خاف وحذر في هذا اليوم».

أما الذين يلهون ويلعبون ويضحكون ويسرحون ويمرحون دون قيود ودون ضوابط لا ينتبه أحدهم إلا في ساعة الموت، فالويل لهؤلاء إن لم ينتبهوا قبل ذلك.

قوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ [النور:٣٧] ما هو هذا اليوم؟ هو يوم القيامة الذي يغفل عنه كثير من الناس، فلا يتصورون ساعة القدوم على الله، ولا يتصورون ساعة الموت، ولا يتصورون ساعة القبر، ولا يتصورون يوم يقوم الناس لرب العالمين، ولا يتصورون يوم تتطاير الصحف فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، ولا يتصورون الوزن الذي يقول الله ﷻ عنه: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف:٨]، ولا يتصورون الصراط الذي يقول الله ﷻ عنه ويقسم على ذلك: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧٢]، هنا ذكر الله تعالى صفات المؤمنين الذين تربوا في المساجد.

قوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧] ما معنى: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ﴾ [النور:٣٧]؟ أي: من شدة الخوف يضطرب القلب حتى يتحرك بشدة، فينتقل من مكانه إلى الحنجرة.

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر:١٨]، وذلك من شدة الخوف، فانظر حينما تخاف أو حينما يزعجك أمر كيف يضطرب قلبك بسرعة حتى ينسد النفس؟! إذا يتقلب القلب في ذلك المكان وفي ذلك الزمان حتى يصل إلى الحنجرة، والأبصار - أيضا- تتقلب فتقفز من أماكنها إلى أعلى الرأس، وهذا شيء نشاهده حينما يصاب الإنسان بذعر، يرتفع بصره إلى السماء، وكأن البصر قد قفز من مكانه إلى أعلى الرأس، هذه هي صفات المؤمنين الذين تربوا في المساجد، رجال يسبحون الله دائماً وأبداً ويخافون من الله ﷻ.

أرواحهم خشعت لله في أدب قلوبهم من جلال الله في وجل

نجواهم ربنا جئناك طائعة نفوسنا وعصينا خادع الأمل

إذا سجى الليل قاموه وأعينهم من خشية الله مثل الجائد الهطل

هم الرجال فلا يلهيهم لعب عن الصلاة ولا أكذوبة الكسل

جزاء الرجال الذين تربوا في المساجد عند الله:

أما الجزاء والنتيجة والثمرة لهذا الخوف فيقول الله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النور:٣٨]، فالله تعالى كريم لا يضيع عمل عامل منا من ذكر أو أنثى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٨].

ولذلك الله تعالى يقول: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [النور:٣٨] أي: يجازيهم بالحسنات ويتجاوز عن السيئات، والسيئات المراد بها هنا الصغائر، أما الكبائر فإنها تحتاج إلى توبة، ولكن لو قدم هذا الإنسان على الله ﷻ بملء الأرض خطايا وهو على ملة التوحيد ولا يشرك مع الله ﷻ أحداً كائناً من كان، ولا يكون هناك في قلبه ند لله ﷻ فإنه يقدم على رب رحيم غفور، يقول ﷻ في الحديث القدسي: «يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[١]، وهذا من فضل الله ﷻ، وهذا دليل على أهمية التوحيد في حياة الناس، فإذا صلح التوحيد صلحت الأعمال بعد ذلك كلها.

الفرق بين رجال المساجد ورواد محاضن الفساد[٢]:

إن أي قوم يتربون بعيدين عن المسجد فإن عاقبتهم وخيمة، وأي قوم يتربون في المساجد فهم الرجال الذين سيخلصون هذه الأمة في مستقبلها القريب والبعيد من أزمات كثيرة، ولذلك أقول: لا سبيل إلى إصلاح أبنائنا وإصلاح الأجيال القادمة والأمم اللاحقة إلا أن يتربى هؤلاء الشباب في المساجد في حلق الذكر ومجالس العلم، يتلون كتاب الله ﷻ ويتدارسونه فيما بينهم، ويحضرون الصلوات الخمس، ويقفون

(١) رواه الترمذي وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٧).

(٢) محاضرة للشيخ عبد الله الجلالي بعنوان من هم الرجال.

أمام الرجال العقلاء، ويعرفون الله ﷻ حق المعرفة، ويتصورون ساعة الوقوف بين يدي الله ﷻ، وحينئذ سيكون هؤلاء رجالا.

أما لو ربينا أبناءنا في أماكن أخرى أمام الأفلام والمحرمات والمواخير ودور الفساد والخمر وما أشبه ذلك فستنشأ ناشئة لا تعرف الله ﷻ، ولا تعرف حق الآباء ولا حق الأهل ولا العشيرة، ولا حق الوطن، ولا حق المستقبل، ولا حق الأجيال اللاحقة.

فالشباب الذين يتربون في المساجد هم الذين يعمرون هذه الحياة، ولذلك فإنه يلزم أي واحد منا أن يربي أولاده في المسجد، وأن يأخذهم معه إلى المسجد حيث أمر الرسول ﷺ بقوله: «مروا أبناءكم للصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»[1].

نماذج من شباب ورجال المساجد

المساجد هي التي ربت الرجال، اقرأ تاريخ البشرية بصفة عامة، واقرأ تاريخ الإسلام بصفة خاصة لتعرف كيف ربى الإسلام الرجال، شباب في سن المراهقة، لكن كانت عقولهم ومستوياتهم فوق عقول

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة؟ (٤٩٥)، وإسناده حسن.

الرجال في أيامنا الحاضرة، فهذا أسامة بن زيد رضي الله عنه حب رسول الله وابن حب رسول الله ﷺ قاد الجيش إلى بلاد الشام وهو ابن ثماني عشرة سنة، وقد جهز هذا الجيش ﷺ قبل وفاته، فلما مات رسول الله ﷺ اختلف أبو بكر و عمر هل يسير هذا الجيش إلى بلاد الشام أو يبقى، فـ عمر رضي الله عنه يرى أن يبقى هذا الجيش لحراسة المدينة، و أبو بكر يرى أن يذهب هذا الجيش تحقيقاً لتجهيز رسول الله ﷺ وأمره، وفعلا يسير هذا الجيش ويظهر قوة للأمة الإسلامية، ويبين للرومان أن الأمة الإسلامية بالرغم من وفاة رسولها ﷺ ما زالت بخير، وأنها أرسلت هذا الجيش الجرار إلى بلاد الشام من المدينة، ويقوده رجل لا يتجاوز الثامنة عشرة من عمره.

وهذا محمد بن القاسم رحمة الله عليه رجل في السابعة عشرة من عمره قاد جيشاً إلى بلاد السند، وفتح لنا شبه القارة الهندية التي تُعدُّ الآن من أكثر بلاد الإسلام كثافة، فتحها هذا الشاب وهو لا يتجاوز السابعة عشرة من عمره.

ومن هؤلاء الرجال عقبة بن نافع رضي الله عنه، الرجل الذي كان يقود جيشا في شمال أفريقية، ويسابق الشمس على مطالعها، ويصل بجيشه إلى تونس الحالية، وعندما أراد أن يبني مدينة القيروان لتكون قاعدة للمسلمين في شمال أفريقية أتى إليه أهل تلك البلاد وقالوا له: يرحمك

الله أيها الأمير! هنا غابات رجع الفاتحون دونها، فلن تستطيع أن تبني فيها مدينة القيروان.

فيقول لهم: لابد من أن أبني فيها مدينة القيروان.

، فشكا إليه الجند كثرة الهوام والسباع فصعد ربوة ونادى: «أيتها السباع أيتها الحشرات، أيتها الهوام، نحن أصحاب رسول الله جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد فارحلوا، فإنا نازلون وما هي إلا لحظات قليلة إذ تم انتشار هذا الخبر في أوساط هذه الحيوانات، فارتحلت كلها وهي تحمل أولادها»[1].

يقول شاهد عيان: والله لقد رأينا الوحوش تحمل أولادها تخلي الغابة لـ عقبة بن نافع ليقيم عليها مدينة القيروان.

ثم يسير هذا البطل المؤمن ابن المسجد متجها إلى جهة الغرب حتى يغرز قوائم فرسه في مياه المحيط الأطلسي ويقول: لو أعلم أن وراء هذا الماء أحدا لخضته إليه على فرسي.

وينشر الإسلام في شمال أفريقية ويستشهد هناك.

أما قتيبة بن مسلم فإنه اتجه شرقا، ففتح بلاد ما وراء النهر وتوغل فيها، ثم سأل أصحابه ذات يوم وقال: أي بلد أمامنا؟ فقالوا: يرحمك الله هذه بلاد الصين.

---

(١) أسباب سعادة المسلمين للكاندهلوي بتصرف ص ٥٩.

فقال: والله لا أرجع إلى أهلي حتى أطأ بأقدامي هذه أرض الصين، وأضع وسم المسلمين على الصينيين، وأفرض عليهم الجزية.

ثم تصل الأخبار إلى ملك الصين، فيخاف من قتيبة بن مسلم رحمة الله عليه، ويرسل صحافا من الذهب قد ملئت بتراب الصين ويرسل أبناءه الأربعة ويرسل الجزية ويقول: هذه تربة الصين ليبر قتيبة بقسمه ويطأها وهو في مكانه، وهذه هي الجزية، وهؤلاء أولادي الأربعة يضع عليهم وسم العرب.

ثم يعود قتيبة بن مسلم إلى بلاده بعد أن نشر الإسلام في أقصى الشرق.

أهمية المسجد في تخريج الرجال:

المساجد مازالت -ولن تزال- وستبقى بإذن الله تربي الرجال حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وإذا أردت دليلا على ذلك فانظر إلى ما أحدثته المساجد في أيامنا الحاضرة، فهذه الصحوة الإسلامية المباركة العارمة التي أصبحت تقض على العدو مضجعه، فلا ينام من الليل إلا قليلا، هؤلاء هم من إنتاج المساجد، أما إنتاج الأماكن الأخرى فلا أريد أن أذكره؛ لأن له مكانا آخر.

إذا المساجد هي بيوت الله، والرجال لا يتربون تربية حقة إلا في المساجد، والذين نشئوا في المساجد وعلقت قلوبهم بالمساجد هم خير

البشرية، وهم الذين سيعيدون لهذه الأمة مجدها وعزتها وكرامتها، ويوم أعرض الناس عن المساجد مدة طويلة من الزمن، وقبل أن تكون هذه الصحوة الإسلامية المباركة رأينا المصائب تتوالى تترى على هذه الأمة، فأصبحت بلاد المسلمين تتساقط بأيدي الكافرين حصنا بعد حصن، وبلدا بعد بلد، ودولة بعد دولة، وتقسم بلاد المسلمين بمقدار ما أعرض الناس عن هذه المساجد، ويوم يعود الناس إلى هذه المساجد يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

المبحث الثاني
القوامة على الأسرة

قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ﴾ [النساء:٣٤]. ابن كثير يقول: القيم أي الرئيس، الذي يحكم أهله ويقوم اعوجاجهم إذا اعوجوا، وهو المسؤول عنهم يوم القيامة، «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته**»(١).

ولا يقدح في رجولة الرجل أن يعين أهله، فعائشة رضي الله عنها سئلت عن فعل رسول الله عليه الصلاة والسلام في بيته، قالت: «**كان يكون في مهنة أهله يشيل هذا ويحط هذا يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته**»(٢) وهو رسول الله.

ولا يقدح في رجولة الرجل أن يلاطفهن أو أن يمازحهن، تقول عائشة رضي الله عنها: سابقني رسول الله عليه الصلاة والسلام فسبقته، فلما حملت اللحم أي بدت علي السمنة، سابقني رسول الله عليه الصلاة والسلام فسبقني، فقال: «**هذه بتلك**»(٣)

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الطبراني.

(٣) أحمد وأبو داود.

ما يقدح رجولة الرجل في الأسرة

انعدام غيرته على أهله :

أ - في أمر لباسها فلا يعنيه أن تخرج وأن تكشف عورتها للناس، والرسول عليه الصلاة والسلام أعلمنا أن من أهل النار: «**نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة** «كسنام البعير» **لا يردن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**»[١].

ب- أو لا تعنيه الجلسات المختلطة، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**إياكم والدخول على النساء، قالوا: يا رسول الله أرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت**"[٢] وتركهما منفردين.

ج- يقدح في رجولة الرجل أيضاً أن يلقي للزوجة الحبل على الغارب، تخرج متى تشاء، وتعود متى تشاء، ولا يعرف الوجهة التي خرجت إليها، أو أن تسافر بغير محرم، أو عدم وجود الصحبة الطيبة التي تحفظ لها دينها وعفتها في الطريق.

هذه الأمور وعدم انشغال الرجل بها يدل على فقدان الغيرة،

---

(١) رواه مسلم

(٢)متفق عليه.

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**لا يدخل الجنة ديوث**»[١] والديوث هو الذي لا غيرة له على عرضه.

د- أيضاً الذي يقدح في رجولة الرجل هو أن يسلم قيادة أمره إلى أهله، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**إذا كان أمراؤكم فساقكم وأغنياؤكم شراركم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير من ظهرها**»[٢]، وفي الأثر: «**تعس عبد الزوجة**».

ه- الذي يقدح في رجولة الرجل أن يقدم محبة أهله على محبة الله ورسوله، عبد الله بن أبي بكر تزوج امرأة يقال لها عاتكة، وكانت ذات حسب ونسب وجمال وأدب، خرج أبو بكر يوماً إلى صلاة الجمعة فسمع عبد الله يناغي زوجته وتناغيه بما يكون بين الرجل وأهله، فلما عاد من صلاة الجمعة ورآهما على الحال الذي تركهما عليه قال: يا عبد الله ألم تصلّ معنا؟ قال: أأجمعتم؟ قال أبو بكر: لقد شغلتك عاتكة عن ربك طلقها. فطلقها، ومضت ستة أشهر علم بعدها أبو بكر ندم عبد الله وندم عاتكة أنهما انشغلا بما يكون بين الرجل وأهله عن طاعتهما لله ﷻ، ثم قال له: أرجعها. فأرجعها.

(١) رواه أحمد والنسائي.

(٢) رواه الترمذي.

المبحث الثالث
الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله قمة الرجولة التي وصفها الله تعالى في القرآن، إن مِن أهلها مَن يؤيد الرسل في دعوتهم وينـاصرهم، ويبين للناس أن ما جاءت به الرسل هو الحق، ويعين الرسل ويساعدهم.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [يس:٢٠] من الذي جاء؟ هل جاء جيش جرار، أو فئامٌ كثيرة من الناس؟ ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ [يس:٢٠] جاء من آخر المدينة ﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ [يس:٢٠]،يشتد، ولماذا جاء؟! ألأن هناك سوقاً أو حراجاً لا يريد أن يفوته منه شيء؟! ألأن هناك أسهماً تباع لا يريد أن يفوت منها شيء؟! كلا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يس:٢١]،اتبعوهم، اتبعوا هؤلاء الرسل﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يس:٢٢].

ثم يبين عرض حقائق العقيدة، التصورات النقية الصافية الخالية من شوائب الشرك، حتى توفاه الله ﷻ فقال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يس:٢٧].

وفي حال الخوف يتقدم الرجال بالنصح لله ﷻ، رغم الخوف الذي يكتنفهم، وأجواء الإرهاب التي تحيط بهم، فيقومون بواجب النصيحة رجل واحد يفعل أفعالاً لا تفعلها أمة بأسرها، رجل واحد يعدل غثاءً، بل إنه يرجح على هذا الغثاء المترامي الأطراف، الذي لا يجمعه تصور واحد، ولا منهج واحد، ولا عقيدة واحدة، يقوم هؤلاء الرجال بواجب النصح لله ﷻ، ويحذرون أولياء الله من المخاطر التي تحدق بهم.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يس:٢٥]، فهو رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعد ما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق ما يتحدث عنه في مقالته لقومه، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق سكوتا، ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره، سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون، وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، وفي كفهم عن البغي، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشك أن يصبوه على المرسلين.

والظاهر أن هذا الرجل لم يكن ذا جاه ولا سلطان، ولم يكن في عزة من قومه أو منعة من عشيرته، ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها. اهـ.[١]

إنها استجابة الفطرة السليمة لدعوة الحق المستقيمة، فيها الصدق والبساطة والحرارة واستقامة الإدراك، وتلبية الإيقاع القوي للحق المبين.

وقد ورد عن ابن عباس ما يفيد أن اسم الرجل حبيب بن مرة وأنه كان نجارا فلما أشرف الرسل على المدينة رأى كرامة لهم فآمن.[٢]

قال الطاهر بن عاشور: وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة الإشارة إلى أن الإيمان بالله ظهر في أهل ربض المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة لأن قلب المدينة هو مسكن حكامها وأحبار اليهود وهم أبعد عن الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوهم إليهم الرسل، وعامة سكانها تبع لعظمائها لتعلقهم بهم وخشيتهم بأسهم بخلاف سكان أطراف المدنية فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر وقلة الاكتراث بالآخرين...

---

(١) الظلال ٥/ ٢٩٦٣.

(٢) التحرير ١١/ ٣٦٦.

وبهذا يظهر وجه تقديم ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [القصص:٢٠] على ﴿رَجُلٌ﴾ [النساء:١٢] للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة، وأنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط... ووصف الرجل بالسعي يفيد أنه جاء مسرعاً، وأنه بلغه همُّ أهل المدينة برجم الرسل أو تعذيبهم ،فأراد أن ينصحهم خشية عليهم وعلى الرسل، وهذا ثناء على الرجل يفيد أنه ممن يقتدى به في الإسراع إلى تغيير المنكر.(١)

لا بد أن يدرك إي داعية إلى الله انه يعمل أجيراً عند رب العالمين ،مالك السماوات والارضين ،ومن ثَم فإن العمل مع الله ليس كأي عمل ،إنه عمل ذو طبيعة خاصة ،وشأن عظيم ،أنه اشرف عمل يمكن لبشر أن يقوم به على وجه الأرض .

إن قضية العمل للدين لا يُعذر منها أي مسلم ،مهما كان حظُّه من العلم ،أو مهنته ،أو مستواه المادي أو الاجتماعي .

كم كان يملك أصحاب رسول الله ﷺ من العلم حين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم،فانطلقوا من فورهم يحملون الهداية إلى الناس ،يأخذون بأيديهم إلى هذا الدين؟!

---

(١) التحرير ١١/ ٣٦٥.

كمكان يحفظ أبو بكر الصديق من الكتاب والسنة في أول يوم له في هذا الدين ،وقد جاء بنصف العشرة المبشرين بالجنة ،ليعلنوا شهادة التوحيد بين يدي رسول الله ﷺ؟!

إن الدعوة الله وظيفة كل المسلمين صغيرهم وكبيرهم،حاكمهم ومحكومهم ،ذكرهم وأنثاهم .

المبحث الرابع
الدفاع عن أولياء الله

في الجانب الآخر مؤمن آل فرعون ينبري للدفاع عن نبي الله متحركاً من أقصى المدينة قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص:٢٠]، لم يقعد به طول المسافة، ولا بُعد الطريق، جاء يسعى ويشتد، لقد كان هذا الرجل مؤمناً.

فمن صفات الرجولة أن نكون نحن الذين نسمي أنفسنا رجالاً، أن نكون أعواناً للرسل، حرباً على أعداء الرسل، وليس حرباً على الرسل، أن نكون مؤيدين لدعوة الرسل، لا مثبطين عن دعوة الرسل، أن نكون مستجيبين لدعوة الرسل، متبعين لا عاصين ولا مبتدعين ولا معاندين.

هذه الصفة كم من الرجال من يمتلكها اليوم؟! كم من الرجال من يؤيد دعوة الرسول ﷺ؟! إنهم قليل.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [القصص:٢٠].

يتشاورون في أمرك، ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص:٢٠] إني أكشف لك مخططاتهم، وأعرِّي لك دسائسهم ونياتهم

الخبيثة، فاخرج من هذه المدينة،﴿فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص:٢٠].

قال ابن كثير رحمه الله: وُصِف بالرجولة؛ لأنه خالف الطريق، يعني بالطرق الجادة التي تُسلك في الشارع، فسلك طريقاً أقرب من طريق الذين بُعثوا وراءه، فسبق إلى موسى وحذره، قال: إن الناس آتون ورائي ليقبضوا عليك ويقتلوك، أعوان فرعون الطاغية: ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص:٢٠].

يأتي هذا الرجل يسعى، يختصر الطريق ليحذر ولي الله ونبيه موسى عليه السلام إن تقديم النصيحة حتى في حالة الخوف من صفات الرجولة.

إن الفائدة الكبرى التي نجنيها من خبر الرجلين أن على الإنسان أن يكون إيجابياً فيتبع علمه بالعمل... بعبارة أخرى لا نريد منك أيها الأخ أن تتلقى القرآن والحديث والمواعظ بقصد الثقافة والاطلاع، ولا بقصد التذوق والاستمتاع، وإنما تتلقى ذلك كله لتعمل به من فور سماعه، انظر إلى الرجلين: لم يكن بين سماعهما وفعلهما إلا طرفة عين.

إن هذا الشعور شعور التلقي للتنفيذ هو الذي تميز به جيل الصحابة ففاقوا وسبقوا، ذلك أن ما كان بين أيديهم من القرآن والحديث هو كذلك بين أيدينا الآن، فكيف وصلوا وقصرنا، وبلغوا وعجزنا؟

السبب أنهم كانوا يتلقون القرآن والحديث تلقي الجندي في الميدان للأمر، سماع فتنفيذ، ومن ثم لم يكونوا يستكثرون من القرآن في الجلسة الواحدة، لأن أحدهم كان يحس أنه إنما يستكثر من الواجبات والتكاليف التي يحملها على عاتقه.

وبهذه النفسية التنفيذية اختلط القرآن بذواتهم وتحول إلى منهج واقعي في الحياة، ولم يعد مجرد آيات تتلى.[١]

وهذا ابن عمر كان ألزم الناس للأمر الأول، وكان يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس![٢]

وانظر إلى ما روي عن الإمام أحمد من أنه قال: ما سمعت حديثاً إلا عملت به! قالوا: فحديث الغار؟ قال: كنت في سفر فوجدت غاراً فمكثت فيه ثلاثة أيام!!

وواقعنا اليوم للأسف شيء آخر... ما أكثر ما نسمع، وما أكثر ما نهز رؤوسنا طربا، وما أكثر ما نثني على ما سمعنا، ولكن الواقع يشهد بأن الكلام دخل من أذن وخرج من أخرى.

---

(١) انظر معالم في الطريق، فصل: جيل قرآني فريد ١٧ ـ ١٩.

(٢) نزهة الفضلاء ١/ ٢٥٤، ٢٥٥.

وواقعنا يشهد أيضا بأننا نقرأ القرآن والحديث ونسمع الموعظة وفي أنفسنا أن ذلك عادة تعودناها، ولعلي لا أبالغ إذا قلت إن البعض شرع في قراءة هذه الرسالة وليس في نيته عزم أن ينفذ ما سوف يقرؤه من سمات الرجولة!!!

المبحث الخامس
الثبات عند الفتن

يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة:٢٣].

موسى عليه السلام يأتي ببني إسرائيل لدخول الأرض المقدسة، ويعدهم بنصر الله تعالى، ويبشرهم ويقول: إن الله معكم، فقاتلوا هؤلاء الكفرة الذين احتلوا تلك الأرض المقدسة بنو إسرائيل الذين ما عُرِف عن طبعهم إلا الغدر والخيانة، وإلا النكوص عن شرع الله وطريقه، ماذا قالوا؟ قالوا كلمة قبيحة جداً، قالوا: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة:٢٤] أنت وربك يا موسى قاتلا، نحن ننتظر النتيجة، فإن انتصرتم جئنا ودخلنا المدينة ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة:٢٤] بكل وقاحة، موسى نبي الله ليس معه أحد، كل القوم نكصوا.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ ﴾ [المائدة:٢٥]

موقف صعب، موقف شديد، تخلَّى القوم عن نبيهم، تركوه وحيداً أمام الأعداء، إن هذه أزمة! أليس كذلك؟ فمن الذي يقوم الآن في هذا

الأزمة، ويثبت الناس ويقول لهم: يا أيها الناس اثبتوا على شرع الله، اثبتوا على الطريق، لا تنهزموا أمام الأعداء، النصر قادم بإذن الله، تمسكوا بشرع الله، والله ينصركم: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد:٧].

قام هذان الرجلان: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾ [المائدة:٢٣] بنعمة الإيمان والإسلام والثبات.

«لقد أنعم الله على هذين الرجلين بحسن الفهم عن الله ، فقالا لبني إسرائيل : ساعدوا أنفسكم بدخول هذه الأرض وسينصركم الله . ومثل الرجلين كمثل الأم التي طلب منها ابنها أن تدعو له بالنجاح ، فقالت الأم لابنها : سأدعو لك ولكن عليك فقط أن تساعد الدعاء بالإقبال على الاستذكار . وكأن الخوف من مخالفة أمر الله نعمة على هذين الرجلين ، وكأن الفهم عن الله لعباراته نعمة»[1].

فهذه الآية عن رجلين من قوم موسى عليه السلام يشجعان قومهما ويرغبانهم في المضي لأمر الله بالدخول للأرض المقدسة ويقولان لهم: ثقوا بالله ونصره الذي لا يتخلف ويقيناً منهم أن العاقبة للمتقين فقالا: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] .

ولكن يهود نقضوا فولوا مدبرين ، للجبن والخوف الذي ينتاب قلوبهم وقت احتدام المعارك حيث ظهر ذلك جلياً قديماً وحديثاً ،

---

(١) تفسير الشعراوي -المائدة

قال تعالى : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] .

أما صحابة رسول الله ﷺ فقد كانوا في عهدهم على القتال لإعلاء كلمة لا إله إلا الله وثباتهم على الحق وعمل الصالحات ومجانبة السيئات فهم فريقان ، فريق أوفى بما عاهد عليه الله صادقاً حتى قتل شهيداً، وفريق منهم ينتظر يوماً فيصدق فيه الثبات على درب الحق فيموت على الصدق والثبات والوفاء بلا تبديل ولا تغيير لما عاهد عليه الله [١] .

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ﴾ [المائدة:٢٣] اقتحموا إنهم جبناء،﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة:٢٣].

هذه النوعية التي نحتاجها حقيقة اليوم في وسط الأزمات التي تعصف بالمسلمين، الأزمات والفتن التي تجعل الحليم حيرانَ، نحتاج إلى رجال يبصرون الناس بالدين، إلى رجال يكونون قدوة للناس، إلى رجال يثبتون الناس على شرع الله.

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٦٢٣، وأيضاً محاسن التأويل: ٨/ ٥٨.

من مواقف الرجال

عمر بن الخطاب (الفاروق) :

إنه أقوى الرجال في دين الله ،كان إسلامه حدثًا كبيرًا، اسمع إليه وهو يقص قصة إسلامه العجيبة :

أخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنه قال سألت عمر رضي الله عنه لأي شيء سُميت بالفاروق فقال أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام فخرجت إلى المسجد فأسرع أبو جهل إلى النبي ﷺ ليسبه فأخبر حمزة فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التي فيها أبو جهل فاتكأ على قوسه مقابل أبي جهل فنظر إليه فعرف أبو جهل الشر- في وجهه فقال ما لك يا أبا عمارة فرفع القوس فضرب بها أخدعه فقطعه فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر قال ورسول الله مختف في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي فانطلق حمزة فأسلم فخرجت بعده بثلاثة أيام فإذا فلان المخزومي فقلت له أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد، قال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقًا مني فقلت :من هو قال:« أختك وختنك» ،فانطلقت فوجدت هينمة فدخلت فقلت :ما هذا فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختني فضربته وأدميته، فقامت إلي أختي وأخذت برأسي وقالت: قد كان ذلك

على رغم أنفك ،فاستحييت حين رأيت الدم فجلست وقلت أروني هذا الكتاب ،فقالت: **إنه لا يمسه إلا المطهرون**، فقمت فاغتسلت فأخرجوا إليّ صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة :﴿طه مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ [طه ١ :٣]إلى قوله ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طـه:٨] ،فتعظمت في صدري وقلت من هذا فرت قريش فأسلمت وقلت أين رسول الله ﷺ قالت: فإنه في دار الأرقم ،فأتيت فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة: مالكم قالوا عمر قال:« افتحوا له الباب فإن اقبل قبلنا منه وإن أدبر قتلناه »،فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت: يا رسول الله ألسنا على الحق قال: بلى قلت :ففيم الاختفاء ،فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إلي وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله الفاروق يومئذ وفرق بين الحق والباطل.

عمر رضي الله عنه وُجِدت رجولته في اللحظة الأولى من إسلامه، فبعد أن كان المسلمون لا يجرؤون على الجهر بدينهم جهروا به، قال ابن مسعود رضي الله عنه : «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»[1].

---

(١) أخرجه البخاري

لم تكن رجولة عمر رضي الله عنه في قوة بدنه، ولا في فروسيته، ففي قريش من هو أقوى منه، ولكن رجولته كانت في إيمانه القوي، ونفسه الكبيرة التي تبعث على التقدير والإكبار. هاجر الصحابة خفية، أما عمر فقد تقلد سيفه ومضى إلى الكعبة فطاف وصلى في المقام، وأعلن هجرته على الملأ وقال لهم: «من أراد أن تثكله أمه ويُيتِّم ولدَه ويُرمل زوجته فليتبعني وراء هذا الوادي»، فما تبعه منهم أحد[1]. يضع عمر البرامج لتعليم الرجولة فيقول: «علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل، وروُّوهم ما يُجَمِّل من الشِّعر».

(١) انظر: تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ص ١١٥، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ١٢٥، وأعلام المسلمين ٢/ ٢٥.

العز بن عبد السلام (سلطان العلماء):

تميزت شخصية الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمجموعة من الصفات من أهمها الشجاعة في الحق ذلك لأنه كان مع الحق يدور حيث دار، وما قصته مع نائب السلطان عندما عزم على بيع المماليك إلا دليل ساطع على شجاعته، وجرأته، وأنه لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يخشى سلطاناً، ولا يهاب الموت في سبيل الله، ومن المواقف التي تدل على شجاعته.إنكاره على الملوك التنازل عن ديار المسلمين وعقد الصلح مع الصليبيين المعتدين(١) ،وكان العز يرفض المساومة، ولو قبَّل السلطان يده،ومن ومواقفه أنه دخل يوم العيد القلعة، والسلطان نجم الدين أيوب بن الكامل في زينته، وجنوده بين يديه، وأمراء الدولة تقبِّل الأرض له؛ فالتفت سلطان العلماء إليه منادياً باسمه المجرَّد: يا أيُّوبُ؛ ما حُجَّتُك عند الله، إذا قال لك: ألم أُبَوِّئ لك مصر، تبيح الخمور؟ فتجاهل أيوب حقيقة السؤال تجاهل العارف وتنمُّرَ المريب قائلاً: هل جرى هذا؟ فرفع الشيخ عز الدين بن عبدالسلام صوته: نعم، الحانة الفلانية يُباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة

(١) الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الأمراء، د. علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ

هذه المملكة. فقال: سيّدي هذا أنا ما عملته، هذا من زمن أبي، فأجابه الشيخ عز الدين: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٢] ويتسلل الرعب إلى نفس السلطان؛ فيرسم بإبطال بتلك الحانة وبدأ الناس يتساءلون عن سر هذه الجرأة ويوجَّه هذا الاستغراب والتساؤل إلى سلطان العلماء على لسان تلميذه الباجي:

يا سيدي؛ كيف الحال؟ فقال الشيخ – رحمه الله –: يا بني رأيته في تلك العظمة، فأردت أن أهينهُ، لئلا تكبر نفسه، فتؤذيه، فقال تلميذه، أما خفته؟ قال الشيخ والله يا بني، استحضرت هيبة الله، فصار السلطان قدَّامي كالقط»[1].

ولقد رأى سلطان العلماء أن المماليك الذين اشتراهم نجم الدين أيوب ودفع ثمنهم من بيت مال المسلمين، واستعملهم في خدمته وجيشه، وتصريف شؤون الدولة يمارسون البيع والشراء هو تصرف باطل؛ لأن المملوك لا ينفذ تصرفه، فأخذ سلطان العلماء لا يمضي لهم بيعاً ولا شراءً فضايقهم، وشجر بينهم وبينه كلام حول هذا المعنى فقال لهم بائع الملوك: أنتم الآن أرقَّاء لا ينفذ لكم تصرف، وإن حكم الرق مستصحب عليكم لبيت مال المسلمين، وقد عزمت على بيعكم

(١) صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء العز ص ٢٨.

فاحتدم الأمر، وبائع الملوك مصمَّم، لا يصحِّح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً، فتعطلت مصالحهم، وكان من جملتهم نائب السلطان الذي اشتاط غضباً، واحمر أنفه، فاجتمع مع شاكلته، وأرسلوا إلى بائع الملوك فقال: نعقد لكم مجلساً، ويُنادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه، فلم يرجع، فخرجت من السلطان كلمة فيها غلظة، حاصلها الإنكار على الشيخ ﷺ في دخوله في هذا الأمر، وأنه لا يتعلق به)[1]. وهنا أدرك الشيخ العز أن أعوان الباطل تمالؤوا عليه، ووقفوا في وجه الحق وتطبيق الشرع، وتنفيذ الأحكام التي لا تفرق - في الدين - بين كبير وصغير، وحاكم ومحكوم وأمير ومواطن فلجأ إلى سلاحه الضعيف الباهت في ظاهره، القوي الفعال المدمر في حقيقته وجوهره وسنده، وأعلن الانسحاب وعزل نفسه عن القضاء وقرر الرحيل عن القرية الظالم أهلها، والتي ترفض إقامة شرع الله، ونفذ العز قراره فوراً، وحمل أهله، ومتاعه على حمار، وركب حماراً آخر، وخرج من القاهرة، وما إن انتشر الخبر بين الناس في مصر، حتى تحركت جموع المسلمين وراءه، فلم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه إليه يتخلف، ولاسيما العلماء،

(١) المصدر نفسه ص ٣١.

والصالحين، والتجار، وأمثالهم ولسان حالهم يقول: لا خير في مصر- إن لم يكن فيها العز بن عبدالسلام وأمثاله، القائمون بالكتاب والسنة، والآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، المجاهدون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، ولا شماته شامت ورُفِعَت التقارير حول هذه الظاهرة إلى القاهرة، وكانت التوصيات: متى راح ذهب ملكك فركب السلطان بنفسه، ولحقه واسترضاه، وطيبَّ قلبه، فرجع بشرط أن يُنادي على ملوك مصر- وأمرائها ويبيعهم، فأرسل إليه كبيرهم – نائب السلطان – بالملاطفة والشيخ لم يتغير؛ لأنه يريد إنفاذ حكم الله، عندئذ، انزعج نائب السلطان، وأصدر قراره بتصفية الشيخ جسدياً وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبُيعنا ونحن ملوك الأرض، والله لأضربنَّه، بسيفي هذا، بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف في يده صلتاً، فطرق الباب فخرج إليه ولد الشيخ، فرأى أمر أً جلداً، فعاد إلى أبيه، وأخبره الحال، فقال بائع الملوك ممتلئاً، إيماناً بربه؛ قائلاً لولده: يا ولدي: أبوك أقلُّ من أن يُقْتل في سبيل الله، فلما رآه نائب السلطان؛ اهتزت يده وارتعدت فرائصه وسقط أرضا، فبكى، وسأل الشيخ أن يدعو له قائلاً:

يا سيدي! خيرا، أي شيء العمل؟ فقال الشيخ: أنادي عليكم وأبيعكم. قال نائب السلطان: ففيم تصرف ثمننا؟ قال الشيخ: في مصالح المسلمين. قال نائب السلطان: من يقضيه؟ قال الشيخ: أنا. وأنفذ الله أمره على يد الشيخ ﷺ فباع الملوك منادياً عليهم واحد تلو الآخر، وغالى سلطان العلماء في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير التي تعود بالنفع على البلاد والعباد)[١].

ولقد عُرف الشيخ العز، بأنه «بائع الملوك» ،يوم قرر بيع الأمراء المماليك ،واشتهر أمره في الآفاق، وسجل له التاريخ موقفاً فريداً لم يشهده العالم أجمع، وعلا صوت الحق، وعزَّ العلماء، وتمّ تطبيق شرع الله تعالى، وهزم الباطل وطاشت سهام السلطة والقوة المادية، أمام سلطان الله تعالى، وأحكامه، وصدق على العز حديث رسول الله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٢]، وعاد العز إلى عرينه في كنف الله تعالى ورعايته، وهو القائل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج:٣٨] والقائل: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف:٢١].

---

(١) صفحات مطويات من حياة سلطان العلماء ص ٣٣ ، ٣٤.

(٢) العز بن عبد السلام ص ١٨٢ للزحيلي.

وهكذا كانت مواقف العز بن عبد السلام من حكام عصره، في حياته المديدة كلها آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، صادعاً بالحق، حرباً على الباطل وأهله، عاش أحداث عصره فأثر فيها وتفاعل معها، وتأثر بها، فجاهد باليد، كما جاهد بالقلم واللسان، حتى كتب اسمه بأحرف من نور في سجل الخالدين، وترك خلفه مدرسة غنية لكل باحث وسيرة عبقة يقتدي بها الباحثون عن الحق وأنصار الشرع، والعدالة)[1].

(١) المصدر نفسه ص ١٢٠.

محمد الفاتح:

هو السلطان محمد الثاني الذي يُعدُّ السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان يلقب بالفاتح وأبي الخيرات. حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً كانت خيراً وعزة للمسلمين[١]. تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده في ١٦ محرم عام ٨٥٥هـ الموافق ١٨ فبراير عام ١٤٥١م وكان عمره آنذاك ٢٢ سنة ولقد امتاز السلطان محمد الفاتح بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل كما أنه فاق أقرانه منذ حداثته في كثير من العلوم التي كان يتلقاها في مدرسة الأمراء وخاصة معرفته لكثير من لغات عصره وميله الشديد لدراسة كتب التاريخ، مما ساعده فيما بعد على إبراز شخصيته في الإدارة وميادين القتال حتى إنه اشتهر أخيراً في التاريخ بلقب محمد الفاتح، لفتحه القسطنطينية. وقد انتهج المنهج الذي سار عليه والده وأجداده في الفتوحات، ولقد برز بعد توليه السلطة في الدولة العثمانية بقيامه بإعادة تنظيم إدارات الدولة المختلفة، واهتم كثيراً بالأمور المالية فعمل على تحديد موارد الدولة وطرق الصرف منها بشكل يمنع الإسراف والبذخ أو الترف. وكذلك ركز على تطوير كتائب الجيش وأعاد تنظيمها ووضع سجلات خاصة بالجند، وزاد من

---

(١) انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص٢٥٣.

مرتباتهم وأمدهم بأحدث الأسلحة المتوافرة في ذلك العصر. وعمل على تطوير إدارة الأقاليم وأقر بعض الولاة السابقين في أقاليمهم وعزل من ظهر منه تقصيرٌ أو إهمال ،وطور البلاط السلطاني، وأمدهم بالخبرات الإدارية والعسكرية الجيدة مما أسهم في استقرار الدولة والتقدم إلى الإمام ،وبعد أن قطع أشواطاً مثمرة في الإصلاح الداخلي تطلع إلى المناطق المسيحية في أوروبا لفتحها ونشر الإسلام فيها، ولقد ساعدته عوامل عدة في تحقيق أهدافه، منها الضعف الذي وصلت إليه الإمبراطورية البيزنطية بسبب المنازعات مع الدول الأوروبية الأخرى، وكذلك بسبب الخلافات الداخلية التي عمت جميع مناطقها ومدنها ولم يكتف السلطان محمد بذلك بل إنه عمل بجد من أجل أن يتوج انتصاراته بفتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، والمعقل الاستراتيجي المهم للتحركات الصليبية ضد العالم الإسلامي لفترة طويلة من الزمن، والتي طالما اعتزت بها الإمبراطورية البيزنطية بصورة خاصة والمسيحية بصورة عامة، وجعلها عاصمة للدولة العثمانية وتحقيق ما عجز عن تحقيقه أسلافه من قادة الجيوش الإسلامية[١].

(١) انظر محمد الفاتح وفتح القسطنطينية،علي الصلابي.

وصدق فيه وفي جيشه قول النبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدُ اللهَّ بْنُ بِشْرٍ الْخَثْعَمِيُّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ**»،لقد حاول المسلمون منذ القرن الأول فتح القسطنطينية مرات عديدة، وقد قتل الصحابي أبو أيوب الأنصاري تحت أسوارها، وادُّخِر فتحها لهذا السلطان العثماني الذي كان نعم الأمير وجيشه نعم الجيش. إنها الرجولة الحقة بكل معانيها.

سيد قطب (صاحب الظلال):

ومن مواقف الرجال: موقف صاحب الظلال -رحمه الله-، عندما طُلب منه أن يؤيد العبد الخاسر بكلمات يكتبها فقال -رحمه الله-: «إن السبابة التي أشهد بها في كل صلاة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا يمكن أن تكتب سطراً فيه ذل أو عبارة فيها استجداء». وعندما سِيق -رحمه الله- إلى حبل المشنقة يوم ٢٩ من أغسطس عام ١٩٦٦م كان من المعتاد أن يحضر شيخ ليلقّن الذي ينفَّذ فيه حكم الإعدام الشهادتين، فقال له -رحمه الله-: «إنني لم أقف هذا الموقف إلا من أجل لا إله إلا الله محمد رسول الله»! فهناك أناس يأكلون الخبز بلا إله إلا الله وآخرون يقدمون رؤوسهم إلى المشانق من أجل لا إله إلا الله!. إنها الرجولة الحقة بكل معانيها: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وبالرغم من قلة أشعار الأستاذ سيد قطب رحمه الله بعد توجهه الإسلامي، فقد أنتج قصيدتين احداهما معروفه باسم (هبل هبل) والقصيدة الثانية وهي الأشهر بين شباب الصحوة الإسلامية وهي قصيدة (أخي أنت حر)، وكثير ممن يسمعها ويرددها بل قد يكون حفظها لا يعلم أنها من تأليف الأستاذ سيد قطب رحمه الله وتقبله في

الشهداء،ولهذه القصيدة موقف رائع ووقفة حانية من وقفات الأب والداعية والأخ الكبير لجميع من حوله سيد قطب ﷺ، ففي أحد أيام سجنه وقبل إعدامه، وقد مر به أحد السجانين من أمام باقي الزنازين فإذا بأحد الإخوة المسجونين يمد يده بحرارة لتحية الأستاذ سيد معرضاً نفسه لما لا يعلمه إلا الله من ألوان التعذيب والابتلاء من جراء هذا التصرف، فتأثر الشيخ عليه رحمة الله بنبل تصرف الأخ ومدى حرارة التحية فأخرج ﷺ هذه القصيدة الرائعة «أخي أنت حر»، والتي تشير بحنان عن مدى مكنونات الأستاذ سيد وأحاسيسه وحبه لإخوانه ﷺ والتي تعبر أيضاً عن مدى شموخ وسمو الروح على ما لاقته من ابتلاء وآلام، رحم الله جند الإسلام في كل زمان ومكان وأعزهم وأعز بهم دينه، وأترككم مع رائعة الأستاذ سيد قطب"أخي أنت حر"

أخي أنت حرٌ وراء السدود ... أخي أنت حرٌ بتلك القيود

إذا كنت بالله مستعصماً ... فماذا يَضيرك كيد العبيد

أخي ستبيدُ جيوشُ الظلام ... ويُشرِقُ في الكونِ فجرٌ جديد

فأطلقْ لروحِكَ إشراقَها ... ترى الفجرَ يرمُقُنا من بعيد

أخي قد أصابك سهمٌ ذليل ... وغدراً رماك ذراعٌ كليل

ستُبترُ يوماً فصبرٌ جميل ... ولم يَدْمَ بعدُ عرينُ الأسود

أخي قد سَرَت من يديك الدماء ... أبت أن تُشلّ بقيد الإماء
ستَرفعُ قُربانها للسماء ... مخضبةً بدماءِ الخلود
أخي هل تُراك سئمتَ الكفاح ... وألقيتَ عن كاهليكَ السلاح
فمن للضحايا يواسي الجراح ... ويرفع راياتِها من جديد
أخي هل سمعتَ أنينَ التُراب ... تدُكّ حَصاه جيوشُ الخراب
تُمَزقُ أحشاءه بالحِراب ... وتصفعهُ وهو صلب عنيد
أخي إنني اليوم صلب المِراس ... أدُك صخورَ الجبالِ الرَّواس
غداً سأُشيح بفأسِ الخلاص ... رؤوس الأفاعي إلى أن تبيد
أخي إن ذرفتَ عليَّ الدموع ... وبللّتَ قبري بها في خشوع
فأوقد لهم من رفاتي الشموع ... وسيروا بها نحو مجدٍ تليد
أخي إن نمُتْ نلقَ أحبابنا ... فروْضاتُ ربي أُعدت لنا
وأطيارُها رفرفت حولنا ... فطوبى لنا في ديار الخلود
أخي إنني ما سئمتُ الكفاح ... ولا أناألقيتُ عني السلاح
وإن طوقتني جيوشُ الظلام ... فإني على ثقةٍ بالصباح
وإني على ثقةٍ من طريقي ... إلى الله رب السنا والشروق
أخي أخذوك على إثرنا ... وفَوج على إثر فجرٍ جديد

فإن أنا مُتُّ فإني شهيدٌ وأنت ستمضي بنصرٍ مجيد
قد اختارنا الله في دعوته وإنا سنمضي على سُنته
فمنا الذين قضوا نحبهم ومنا الحفيظ على ذِمته
أخي فامض لا تلتفت للوراء طريقك قد خضبته الدماء
ولا تلتفت ههنا أو هناك ولا تتطلع لغير السماء
فلسنا بطير مهيض الجناح ولن نُستذل.. ولن نُستباح
وإني لأسمع صوت الدماء قوياً ينادي الكفاحَ الكفاح
سأثأرُ لكن لربٍ ودين وأمضي على سُنتي في يقين
فإما إلى النصر فوق الأنام وإما إلى الله في الخالدين

أطفال الحجارة:

الحديث عن الرجولة في العصر الحاضر يذكرك أطفال الحجارة، هم أطفال في أجسامهم، أبطالٌ في أفعالهم، رجال في مواقفهم، هم بحقٍ يصدق فيهم وصف الرجولة، فقد تربوا على مائدة القرآن، يجاهدون في سبيل الله، وغيرهم يجاهد بالخطب الرنانة، والعبارات المخدرة، إن كثيراً من هؤلاء لم يصلوا إلى مستوى الرجل الطفل، طفل الحجارة.

هل فيك يا أمتي من فارس بطل طفل الحجارة في الأقصى هو البطل

رجولة تأبى الطغيان والاستسلام للمعتدين، لا يهابون طلقات القذائف، بل يتصدون لها بصدورهم وقلوبهم حتى يُحرر القدس الشريف، إنها هِمَمُ رجال ترفض المهانة والذل. هؤلاء الأطفال أُعتقل آباؤهم، وهُدّمت بيوتهم، وهم يشهدون ذلك بناظريهم إن هذا الطفل لا يملك سوى حجر، لكنه يرى نفسه شامخاً يتحدى دبابة الاحتلال دون خوفٍ أو وجل. والأمهات يباركن خطوات فلذات أكبادهن نحو الموت والشهادة.

صَبر هذا الشعب طويلاً وقدّم تضحياتٍ جسيمة، ودماؤه تُراق على أرض فلسطين، وهم بأحجارهم وعصيهم وقفوا ضد اعتداء الغاصبين الذين نهبوا الأموال وقتّلوا الأبرياء ونقضوا العهود والمواثيق.

ذلك العملاق هو رجل بحق؛ لأنه الوحيد الذي عرف الطريق لتحرير المسرى والأرض من النهر إلى البحر، ذلك الطفل الذي تربى على مائدة القرآن الكريم داخل المساجد الذي يريد أن يحقق ما جاء في سورة الإسراء من وعد بالنصر حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، ذلكم الطفل هو أفضل من الذين يجاهدون بالخطب في هيئة الأمم والمحافل التي تدّعي أنها سوف تقاتل إسرائيل بالسلام! إن جميع المنظمات لم تصل إلى مرتبة ذلكم العملاق الرجل الطفل، طفل الحجارة.

لقد سجل أبناء تلك الأرض بطولات وتضحيات لا تتوقف أمام ذلك الصلف اليهودي الذي أقدم وما يزال على أبشع ما عرفت البشرية من وحشية. لماذا يُحجم العالم الذي يزعم أنه متحضر عن ردع المعتدي، والأخذِ على يديه، أين المعاهدات؟ أين المواثيق التي تنص على ضمان السلام والتقليل من الجرائم؟ أين الأخذ على يد المعتدي ونصرة المظلوم؟ أين دعاة السلام والداعون له؟ أين المنظّرون لثقافته؟ أين محاربة الإرهاب في العالم؟ وهذه المذابح والبنادق والصواريخ تُخرب الديار وتحرق القلوب والأجساد، أجساد الشيوخ الركع والأطفال الرضع.

إن هذه الدماء لن تثمر بإذن الله إلا نفوساً أبيّة لن ترضى الدنيّة في دينها. ولتسقط تلك الدعاوى الساقطة، ولتنكسر تلك الأقلام الهزيلة التي مازالت تُزيّن السلام غير العادل بزينة كالحة، لقد عاهدت الأمة الإسلامية ربها أن تظل القدس جوهر عقيدتها، في قلوبنا وعقولنا ومشاعرنا، بل هي فوق كل الاعتبارات الآنية والمصالح الدنيوية، لن نفرط في ذرة من ترابها، ولا سلام ولا استقرار بدونها، وكل الممارسات التي يمارسها العدو من استيطان وتهويد هي أمور غير شرعية، نرفضها وترفضها الأمة كما ترفض الاحتلال ذاته.

إن أرض فلسطين إسلامية وستبقى كذلك مهما تكالبت عليها الخطوب ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف:٨٧].

وسيبقى الكفاح وتدوم التضحية حتى تعود الأرض إلى أصحابها الشرعيين.

إن واجب المسلمين نحو القدس استند إلى القرآن والسنة النبوية، وربطت رحلة الإسراء والمعراج مشاعر المسلمين بهذه الأرض، فقضية القدس ليست قضية تتعلق بالأرض، بل يجب أن تبقى قضية إسلامية تعني الأمة، كل الأمة، وذمّة المسلمين لن تبرأ إلا إذا عملت على تطهير المدينة التي تشرفت برحلة الإسراء والمعراج، وإعادتها إلى قيادة المسلمين ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف:٨].

فقيه الأدباء وأديب الفقهاء:

إنه العلاّمةُ الأديبُ بديعُ هذا الزمانِ: عليٌّ الطنطاويُّ - برّدَ اللهُ مضجعهُ - الذي يذكر في أحدِ أجزاءِ كتابهِ "ذكريات"[1] أنّهُ أحصى مجموعَ ما قرأهُ في حياتهِ إلى سنةِ ١٤٠٥ هـ - أي قبلَ وفاتهِ بأكثرَ من ١٥ سنةً - فبلغَ ٢٥٠٠٠٠٠ صفحةً تقريباً، وذلك لأنّهُ شغلَ ليلهُ ونهارهُ في المطالعةِ والنظرِ، وأصبحَ يقرأ ما يزيدُ على ١٠٠ صفحةٍ يوميّاً.

فكم يا تُرى يبلغُ المجموعُ لو أضفنا عليها السنواتِ الباقيةَ، وهي ١٥ سنةً تامّةً وافيةً، تلكَ السنواتُ التي تفرّغَ فيها للمكثِ في البيتِ، وانقطعَ عن النّاسِ، وصارتِ المكتبةُ ملاذهُ وأنسهُ؟.

هؤلاءِ هم الرّجالُ حقّاً.

لا بُدَّ لنا من وقفةٍ جادّةٍ صادقةٍ مع هذا العمرِ الذي نُبدّدُهُ شذرَ مذرَ، دونَ أن نُضيفَ إلى رصيدِنا المعرفيِّ شيئاً يُذكرُ، تُسرقُ بهجةُ الحياةِ من بينِ أيدِينا بأيدينا!، فمن نُحاكمُ ونحنُ الجناةُ والمجنيُّ عليهم؟.

القراءةُ والعلمُ والبحثُ من أجملِ ما في الحياةِ، حينَ تُنقّلُ فكركَ وعقلكَ في عصورٍ خلتْ، وأقوامٍ بادتْ وانتهتْ، تجوبُ الديارَ وتقطعُ المسافاتِ، وأنتَ قابعٌ في بيتكَ ومكتبكَ، فتستلهمُ العبرَ وتأخذُ

---

(١) الذكريات - علي الطنطاوي

الدروسَ، وتطربُ طوراً وتحزنُ طوراً، وتبكي وتضحكُ، تجمعُ ما تناقضَ من حالكَ في جلسةٍ واحدةٍ، وتستدعي عباقرةَ العلمِ ودهاقنةَ السياسةِ في مكانٍ واحدٍ، فتأمرَ هذا بأن يُبينَ وتُخرسُ ذاكَ، وهكذا دواليكَ.

نعتقدُ أو يعتقدُ بعضُنا أنّهُ سوفَ يبلغُ المجدَ بالكسلِ والتواني، أو أنّهُ سوفَ يظفرُ بالعلياءِ وهو جِلسُ الجهالةِ أو سميرُ اللعبِ أو نديمُ الفراغِ، كلاّ وربّي، لا بُدَّ من الكدِّ والجُهدِ والنصبِ، حتّى تقطفَ ثمرةَ ذلكَ كلّهُ نجاحاً وفلاحاً.

إنَّ قيمةَ كلِّ إنسانٍ هو ما يُحسنهُ ويُتقنهُ، والعلمُ أشرفُ الأشياءِ، ويكفيهِ شرفاً أنَّ الكلِّ يدعيهِ ولو عروا عنهُ وخلوا منهُ، ويكفي الجهلَ سُبّةً وعاراً أنَّ الجميعَ ينفرُ منهُ ولا يرضى أن يُنسبُ له، حتّى لو كانَ من أهلهِ.

نحنُ - المسلمينَ - أمّةُ المعرفةِ والعلمِ والقراءةِ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق:١-٥]، هذه هي بدايةُ الدّينِ، إنّها المعرفةُ والعلمُ، وأساسُها القراءةُ والنظرُ، وبقدرِ ما يعظمُ شأنُ العلمِ وأثرهُ في النفسِ، يكونُ سموُّ الإنسانِ وارتفاعهُ وعلوّهُ.

لا يستوي من أنفقَ دهرهُ علماً وبحثاً ونظراً، وآخرُ أنفقهُ سهراً وضياعاً ولعباً، لا يستوي من يقرأ ليلهُ ونهارهُ، وآخرُ يقضي وقتهُ في الكلامِ، ويُشتّتُ عمرهُ في ما لا فائدةَ من وراءهِ.

أمة الإسلام اليوم لن تقومُ إلا بالمعرفةِ والعلمِ بعد عون الله تعالى، واللهِ لن تُغنيَ عنّا الجموعُ الكاثرةُ، ولا الأموالُ الطائلةُ، وإنّما الذي يُجدي وينفعُ هو المعرفةُ والتحصيلُ، والتهامُ الكتبِ وافتراسُ البحوثِ، والغيابُ عن النّاسِ والعالمِ، والخلودُ إلى واحةِ المعرفةِ، هذه هي نقطةُ التصحيحِ الأولى، وما سِوى ذلكَ ضربٌ من الوهمِ والخيالِ.

حسن البنا..... رجل أيقظ أمة :

يُعَدّ «حسن البَنَّا» نموذجًا فريدًا للزعيم الروحي والمفكر الديني، والمصلح الاجتماعي، والقائد الجماهيري الذي يمكن أن تلتف حوله مختلف الطوائف والمستويات التي يجمعها اتجاه فكري واحد، وتربط بينها أيدلوجية مشتركة، فقد استطاع حسن البَنَّا في سنوات قليلة أن يؤسس أكبر جماعة دينية في القرن العشرين بلغ أتباعها الملايين. ويمكن اعتبار حسن البَنَّا مزيجًا متميزًا من الفكر السلفي والروحانية الصوفية، فقد كان تجسيدًا فريدًا للروحاني الصوفي، والعالم المسلم، والقائد الحركي الذي امتلك قدرة نادرة على تحريك الجماهير، من خلال ترجمة المبادئ العقدية والفكر السلفي إلى عمل اجتماعي[١].

ميلاده ونشأته:

وُلِد حسن البَنَّا بقرية "المحمودية" بمحافظة البحيرة في ضحى يوم الأحد (٢٥ من شعبان ١٣٢٤هـ ١٤ من أكتوبر ١٩٠٦م، وكان والده أحمد عبد الرحمن البَنَّا مأذونًا وإمامًا لمسجدها، كما كان يعمل بتصليح وبيع الساعات، ولكن دخله من تلك المهنة لم يكن يفي لسدِّ احتياجات الأسرة بعد قدوم الأبناء، وزيادة الأعباء، فزيَّن له

(١)موقع إسلام اون لاين .

البعض أن يفتتح محل بقالة، ولكنها كانت تجربة فاشلة خسر فيها الشيخ معظم ما أنفقه.

وعندما فكَّر الشيخ مرة أخرى في عمل إضافي اختار تجليد الكتب، ولم يكن ذلك يشغله عن القراءة، وكان يمكنه القيام به في ساعات فراغه.

وكان الشيخ محبًّا للعلم والقراءة وقد صرف جُلَّ وقته في الاطلاع والتصنيف، فألَّف عدة كتب، منها "بدائع المسند في جمع وترتيب مسند الشافعي"، و"الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني"، وبلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني.

في هذا الجو الديني المشحون بالعلم والثقافة نشأ حسن البَنَّا، فأحب العلم، وعشق القراءة، وتشرَّبت نفسه بالتدين منذ الصغر.

نبوغ مبكر وريادة منذ الصغر:

وقد اشترك حسن البَنَّا - في وقت مبكر - في بعض الجمعيات الدينية مثل :جماعة السلوك والأخلاق" و"جماعة النهي عن المنكر"، وتأثر على نحو خاص بالطرق الصوفية وخاصة "إخوان الحصافية، وكان من نتيجة تأثره بالطرق الصوفية أن برزت فكرة إنشاء «الجمعية الحصافية للبر» التي نهضت للحفاظ على المبادئ الأخلاقية الإسلامية

الأصيلة، كما كان قيامها ردَّ فعل على نشاط البعثات التنصيرية في مصر، ولم يلبث حسن البَنَّا أن أصبح سكرتيرًا للجمعية وهو في الثالثة عشرة من عمره، وقد أولع - منذ صغره - بقراءة القصص الشعبي، وكان يكثر من الرحلات والرياضة والمشي مسافات طويلة لزيارة المساجد.

وفي سن الرابعة عشرة سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م التحق بمدرسة المعلمين الأولية في "دمنهور"، وقد لازمه التدين في تلك المرحلة من عمره، فكان يصوم شهري رجب وشعبان، وكان التصوف والجانب الروحي المشحون بالعاطفة العميقة بارزًا في حياته يملأ عليه نفسه ووجدانه.

وظل حسن البَنَّا مستغرقًا في التصوف والعبادة طوال إقامته في دمنهور في مدرسة المعلمين، ولكنها كانت صوفية خاصة، تهدف إلى الإصلاح عن طريق الدين.

البَنَّا في دار العلوم:

بعد ذلك سافر حسن البَنَّا إلى القاهرة ليلتحق بكلية دار العلوم وهو في السادسة عشرة، وكانت دار العلوم نتاجًا للاتجاه الإصلاحي في التعليم الذي ساد في القرن التاسع عشر، فكانت تسعى إلى تقديم العلوم العصرية إلى جوار العلوم الشرعية والمعارف التقليدية التي تقدمها الدراسة في الأزهر.

وفي تلك الفترة اتصل حسن البَنَّا بمحب الدين الخطيب – الذي كان يدير المكتبة السلفية ورشيد رضا تلميذ الإمام محمد عبده ، والمشرف على تحرير مجلة المنار.

وعندما تخرج حسن البَنَّا في دار العلوم سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م عُيِّن مدرسًا للغة العربية بإحدى المدارس الابتدائية بمدينة الإسماعيلية، فغادر القاهرة في ربيع الأول ١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م إلى مقر عمله الجديد.

ميلاد جماعة الإخوان المسلمين:

كانت الإسماعيلية بداية الانطلاقة الحقيقية لحسن البَنَّا، والميلاد الفعلي لجماعة الإخوان المسلمين، ففي الإسماعيلية بدأ "حسن البنا" يسهم بدور فعَّال في حياة ذلك المجتمع، من خلال جميع الوسائل المتاحة بدءاً من المسجد، وانتهاء بالمقهى، مرورًا بالمدرسة التي كان يمارس فيها أيضًا الدعوة.

واستطاع حسن البَنَّا أن يجتذب إليه الناس بعاطفته الدينية القوية، وإخلاصه في دعوته، وبساطته وتبسُّطه، فكان مصدر إعجاب وإجماع الجميع على اختلاف مستوياتهم الفكرية والعلمية والاجتماعية، وكان له تأثير عجيب في سامعيه بما أوتي من مقدرة بيانية فائقة متحدثًا وكاتبًا وخطيبًا، وبما حباه الله من حافظة قوية، فكان يعرف كل من يقابله ولو

مرَّة واحدة، فلا ينسى اسمًا ولا وجهًا ولا مكانًا مهما طالت السنون. وكان من نتيجة دروسه وخطبه أن حضر إليه ستة نفر ممن تأثروا به وبدعوته من أهالي الإسماعيلية في ذي القعدة ١٣٤٧هـ - إبريل ١٩٢٨م، فحدَّثوه في شأن الطريق العملي الذي يجب أن يسلكوه لنصرة الإسلام والعمل لخدمة المسلمين، وعرضوا عليه ما يملكون من مال بسيط، وأقسموا له على الطاعة والولاء، وبعد مشاورة استقروا على تسمية أنفسهم «الإخوان المسلمون».

وخلال أقل من أربع سنوات كان «حسن البَنَّا» قد تمكن من تأسيس عدة فروع للجمعية على امتداد منطقة شرق الدلتا بالإضافة إلى الإسماعيلية، وبورسعيد، والسويس، وأبو صير، حتى بلغ عدد فروع الجمعية عشرة.

تجربة رائدة للنهوض بالمرأة:

وقد عُنِي حسن البَنَّا بالمرأة عناية كبيرة، فقد أدرك منذ البداية أهمية الطاقات الاجتماعية الهائلة للنساء إذا ما تم اجتذابهن إلى جانب الحركة. وقد تجلَّى ذلك بوضوح في حرصه على إنشاء "مدرسة الأخوات المسلمات" التي لم تقتصر على تقديم التعليم العام للفتيات، وإنما اهتمت - إلى جانب ذلك - بتربية هؤلاء الفتيات على القيم الأخلاقية

الإسلامية والمثل العليا الإنسانية، والتربية الدينية والاجتماعية والسياسية.

ولعل تلك التجربة كانت أول محاولة جادة في الوطن العربي - في العصر الحديث - للنهوض بالمرأة وتنميتها فكريًّا وتأهيلها اجتماعيًّا وسياسيًّا للمشاركة بصورة واعية وهادفة في الحياة الروحية والاجتماعية والسياسية لأمتها.

قدرات خاصة وعقلية متفردة:

كان حسن البَنَّا ذا قدرة عظيمة على العمل، فلم يَكُن ينام أكثر من خمس ساعات في اليوم، وكان واسع الاطلاع بصورة نادرة، فقد كان يحفظ العديد من دواوين الشعراء وعلى رأسها ديوان المتنبي" عن ظهر قلب، بالإضافة إلى القرآن الكريم، ومحفوظاته من الأحاديث النبوية.

وكان من أبرع الكُتَّاب، ومن أكثرهم قدرة على تصوير ما بنفسه، ومن أشدهم تأثيرًا في النفوس بالألفاظ الكريمة والمعاني المركَّزة، وبلغ من قوة حافظته أنه كان يعرف عددًا كبيرًا من الناس، ويعرف عنهم كل ما يحيط بهم معرفة تامة، ويعرف مدن القطر وقراه، وكل بلد فيه، ونظم أهلها، وعاداتهم وتقاليدهم، وكل ما يتعلق بكيانهم الروحي والاجتماعي والعقلي.

وقد حباه الله بنية قوية كانت سندًا له في دعوته، ومكَّنته من احتمال مشاق الأسفار وأعباء العمل المتواصل ليل نهار.

ويُجمع الذين كتبوا أو تحدثوا عن "البَنَّا"، مادحين أو قادحين، أنه كان ذا شخصية قويَّة، استطاع أن يمزج شخصيته بالجماعة والدعوة في مختلف أطوارها وأحوالها.

وحرص - في خطبه ومقالاته - على أن يتجنب الجدل الديني الذي يثيره عادة أصحاب العقول الضيقة، فقد كان حريصًا على جمع كلمة المسلمين، ولمِّ شملهم، وتوحيد طوائفهم وفرقهم.

وكان يفهم الإسلام فهمًا معتدلاً، وكان يرى أن تعاليمه وأحكامه شاملة تنظم شؤون الناس في الدنيا والآخرة، وأن الإسلام عقيدة وعبادة، ودين ودولة، وروحانية ومصحف وسيف.

العودة إلى القاهرة وبداية مرحلة جديدة:

وفي جمادى الآخرة ١٣٥١هـ = أكتوبر ١٩٣٢م انتقل حسن البَنَّا من الإسماعيلية إلى القاهرة؛ ليزاول عمله مدرساً بمدرسة عباس بالسبتية، وكان ذلك إيذانًا بدخول الدعوة مرحلة جديدة، فلم ينتقل البَنَّا إلى القاهرة إلا بعد أن اتضحت ملامح الدعوة وأهدافها، وتبلورت غايتها التي تسعى إلى تطبيق فكرة شمول الإسلام.

وبالرغم من إعلان "البَنَّا" أن جماعته ليست حزبًا سياسيًّا، فإن ذلك لم يمنعه هو وأتباعه من العمل لاستقطاب أكبر عدد من المؤيدين، ولا من التظاهر، أو حتى من المشاركة في الانتخابات السياسية.

وقد عاصر حسن البَنَّا اثني عشر رئيس وزارة، وكانت علاقاته معهم تختلف من واحد لآخر، إلا أن أحدًا منهم لم يكن بوسعه أن يتجاهل البَنَّا أو جماعة الإخوان المسلمين.

المؤتمر الخامس يحدِّد معالم فكر الجماعة:

وفي الذكرى العاشرة لتأسيس الجماعة، عقد المؤتمر الخامس في (٢ من فبراير ١٩٣٩م = ١٣ من ذي الحجة ١٣٥٧هـ)، فكان ذلك إيذانًا بانتقال الجماعة إلى المرحلة الثانية "مرحلة التكوين"، وبداية الإعداد للمرحلة الثالثة "مرحلة التنفيذ"، وقد تم في هذا المؤتمر وضع الأسس التنظيمية للجماعة، وإعلان دخولها إلى معترك الحياة السياسية.

وحدَّد المؤتمر الفكر الذي التزمت به الجماعة، وعملت من خلاله منذ نشأتها، وكان أساس عملها للمرحلة اللاحقة، وقد تبلور ذلك في نقاط ثلاث، هي:

-شمولية الإسلام بوصفه نظامًا شاملاً متكاملاً للحياة.

-المصدر الأساسي للإسلام :القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

-الإسلام قابل للتطبيق في كل زمان ومكان.

الإخوان بين الحرب والسياسة:

وفي ١٨ من المحرم ١٣٦١هـ - ٤ من فبراير ١٩٤٢م، تشكلت وزارة وفدية برئاسة النحاس، وقامت تلك الوزارة بحلِّ البرلمان والدعوة إلى انتخابات جديدة، فأعلن البَنَّا عن رغبته في ترشيح نفسه في دائرة الإسماعيلية ممثلاً للإخوان، وفور تقدمه بأوراق ترشيحه، استدعاه رئيس الوزراء، وطلب منه أن يعدل عنه وينسحب، وقد استجاب البَنَّا إلى ذلك مقابل بعض المطالب لجماعته التي وافق عليها النحاس.

وكان للإخوان المسلمين دور بارز في حرب فلسطين في ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م التي كان للخيانة والعمالة فيها أثرهما الحاسم في إلحاق الهزيمة بالعرب في معركة لم يستعدوا لها جيدًا، وعندما أُعْلنت الهدنة واشتعلت المظاهرات، وحدثت معركة عنيفة بين الطلبة والبوليس، ولقي حكمدار العاصمة "سليم زكي" مصرعه نتيجة انفجار قنبلة ألقاها عليه أحد الطلاب، وعلى الرغم من عدم معرفة الطالب الذي ألقى القنبلة وعدم تحديد الجهة المسؤولة عن ذلك، فقد وجهت الحكومة قرار الاتهام بقتل الحكمدار إلى الإخوان المسلمين، وصدر قرار بإغلاق صحيفة الجماعة، وأعقب ذلك صدور قرار بحل الجماعة بكل فروعها.

وفي يوم ٢٧ من صفر ١٣٦٨هـ ٢٨ = من ديسمبر ١٩٤٨ أطلق شاب من الجماعة الرصاص على النقراشي – أثناء دخوله وزارة الداخلية – بعد أن تخفَّى في زي ضابط شرطة، فأرداه قتيلاً، وباغتيال النقراشي بدأت السطور الأخيرة لحياة البَنَّا، وكانت تلك بداية النهاية.

اغتيال الإمام:

وفي مساء يوم السبت ١٤ من ربيع الآخر ١٣٦٨هـ = ١٢ من فبراير ١٩٤٩م عندما كان الإمام حسن البَنَّا يغادر جمعية الشبان المسلمين بشارع رمسيس بالقاهرة اغتالته يد الغدر والخيانة، ولكنها لم تستطع أن تغتال أفكاره أو تنال من دعوته التي انتشرت لتملأ ربوع الأرض بنورها، وتهدي قلوب الحائرين بهديها، وتضيء ظلام النفوس بأفكارها وضيائها.[1]

لقد استشهد «حسن البَنَّا»، ولكن أفكاره، ما زالت حية، تنبض بها القلوب وتتوهج بها الأرواح والنفوس.

(١)حسن البَنَّا (مواقف في الدعوة والتربية): عباس السيسي، دار القبس للنشر والتوزيع – القاهرة.

نور الدين محمود زنكي:

نور الدين محمود زنكي (١١ فبراير١١١٨م-١٥ مايو١١٧٤م) الابن الثاني لعماد الدين زنكي بعد وفاة والده حكم حلب أولاً وحارب الصليبيين واسترجع منهم الرها ١١٤٦م ،قاتل الحملة الصليبية الثانية وضم بعدها إلى سلطانه كل الشام و مصر. وأصبحت دمشق عاصمة دولته.

نشأته:

ولد في ١٧ من شوال ٥١١هـ وهو ثاني أولاد عماد الدين زنكي بعد سيف الدين غازي، وقد تأثر أبناء عماد الدين بما كان لأبيهم من خلال وفضائل، فكانوا جميعا من رجال الجهاد وفرسانه، على تفاوت في ذلك بينهم،وبعد وفاة عماد الدين زنكي اقتسم ولداه: سيف الدين غازي ونور الدين محمود دولته، فحكم الأول الموصل وثبّت أقدامه بها، وانفرد الآخر بحكم حلب ، وكان الحد الفاصل بين أملاك الأخوين هو نهر الخابور في الجزيرة السورية ، وكان كِلا الأخوين مؤهلا لما وجهته له الأقدار، فكان سيف الدين غازي صاحب سياسة وأناة، على حين كان نور الدين مجاهداً مخلصاً جياش العاطفة صادق الإيمان، ميالاً إلى جمع كلمة المسلمين وإخراج الأعداء من ديار المسلمين،وهو ما جذب الناس إليه، وحبب القلوب فيه.

وكان على نور الدين أن يواصل سياسة أبيه في جهاد الصليبيين، يدفعه إلى ذلك طبيعته المفطورة على حب الجهاد، وملازمته لأبيه في حروبه معهم. وقرب إمارته في حلب بشمال سوريا من الصليبيين جعله أكثر الناس إحساساً بالخطر الصليبي .

أهم صفاته الشخصية :

(١) حرصه على تطبيق الشريعة:

كان نور الدين محمود يقول: «نحن شحن (شرطة) الشريعة نمضي أوامرها» .وقال أيضاً: «نحن نحفظ الطريق من لص وقاطع طريق والأذى الحاصل منهما قريب أفلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما يناقضه، وهو الأصل».

قال عنه ابن كثير: «كان يقوم في أحكامه بالمعدلة الحسنة واتباع الشرع المطهر .. وأظهر ببلاده السنة وأمات البدعة».

أمر بإلغاء كل الضرائب والمكوس التي كانت تؤخذ من الشعب وذلك عندما قص عليه وزيره موفق الدين خالد بن محمد بن نصر القيسراني الشاعر أنه رأى في منامه كأنه يغسل ثياب الملك نور الدين، فأمره بأن يكتب مناشير بوضع المكوس والضرائب عن البلاد، وقال له: هذا تأويل رؤياك. وكتب إلى الناس ليكون منهم في حل مما كان أخذ منهم، ويقول لهم: «إنما صرف ذلك في قتال أعدائكم من الكفرة

والذب عن بلادكم ونسائكم وأولادكم». وكتب بذلك إلى سائر ممالكه وبلدان سلطانه، وأمر الوعاظ أن يستحلوا له من التجار، وكان يقول في سجوده: «اللهم ارحم المكاس العشار الظالم محمود الكلب.

(٢) عدله:

وصف ابن الأثير نور الدين بأنه: «كان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائناً من كان، القوي والضعيف عنده في الحق سواء، فكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف ذلك بنفسه، ولا يكل ذلك إلى حاجب ولا أمير، فلا جرم أن سار ذكره في شرق الأرض وغربها».

قال ابن الأثير: وهو أول من ابتنى داراً للعدل، وكان يجلس فيها في الأسبوع مرتين، وقيل: أربع مرات، وقيل: خمس. ويحضر القاضي والفقهاء من سائر المذاهب، ولا يحجبه يومئذ حاجب ولا غيره، بل يصل إليه القوي والضعيف، فكان يكلم الناس ويستفهمهم ويخاطبهم بنفسه، فيكشف المظالم، وينصف المظلوم من الظالم.

وكان سبب ذلك أن أسد الدين شيركوه بن شاذي كان قد عظُم شأنه عند نور الدين، حتى صار كأنه شريكه في المملكة، واقتنى الأملاك والأموال والمزارع والقرى، وكان ربما ظلم نوابه جيرانه في الأراضي والأملاك العدل، وكان القاضي كمال الدين ينصف كل من استعداه على جميع الأمراء إلا أسد الدين هذا فما كان يهجم عليه، فلما

علم نور الدين بذلك ابتنى نور الدين دار العدل تقدم أسد إلى نوابه أن لا يدعوا لأحد عنده ظلامة، وإن كانت عظيمة، فإن زوال ماله عنده أحب إليه من أن يراه نور الدين بعين ظالم، أو يوقفه مع خصم من العامة، ففعلوا ذلك.

فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متطاولة ولم ير أحداً يستعدي على أسد الدين، سأل القاضي عن ذلك فأعلمه بصورة الحال، فسجد نور الدين شكرا لله، وقال: الحمد لله الذي أصحابنا ينصفون من أنفسهم.

(٣) تدينه وزهده :

كان نور الدين يصلي كثيراً بالليل وحكي عنه أنه يصلي فيطيل الصلاة، وله أوراد في النهار، فإذا جاء الليل وصلى العشاء نام، ثم يستيقظ نصف الليل، ويقوم إلى الوضوء والصلاة والدعاة إلى بكرة، ثم يظهر للركوب ويشتغل بمهام الدولة.

قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية: «وقد كان رحمه الله حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية، متبعاً للآثار النبوية، محافظاً على الصلوات في الجماعات، كثير التلاوة، محباً لفعل الخيرات، عفيف البطن والفرج، مقتصداً في الإنفاق على نفسه وعياله في المطعم والملبس، حتى قيل: إنه كان أدنى الفقراء في زمانه أعلا نفقة منه من غير اكتناز ولا

استئثار بالدنيا، ولم يسمع منه كلمة فحش قط، في غضب ولا رضا، صموتاً وقوراً».

قال ابن الأثير: لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين، ولا أكثر تحرياً للعدل والإنصاف منه، وكانت له دكاكين بحمص قد اشتراها مما يخصه من المغانم، فكان يقتات منها، وزاد امرأته من كراها على نفقتها عليها، واستفتى العلماء في مقدار ما يحل له من بيت المال فكان يتناوله ولا يزيد عليه شيئاً، ولو مات جوعاً، وكان يكثر اللعب بالكرة فعاتبه رجل من كبار الصالحين في ذلك فقال: إنما الأعمال بالنيات، وإنما أريد بذلك تمرين الخيل على الكر والفر، وتعليمها ذلك، ونحن لا نترك الجهاد.

وكان لا يلبس الحرير، وكان يأكل من كسب يده بسيفه ورمحه. وكان نور الدين يستقرض من الشيخ عمر الملا من الموصل -وكان من الصالحين الزاهدين- في كل رمضان ما يفطر عليه، وكان يرسل إليه بفتيت ورقاق فيفطر عليه جميع رمضان.

وكان يدعو قائلاً: «اللهم انصر دينك ولا تنصر محموداً»، وكان يدعو أيضاً: «إنك يا رب إن نصرت فدينك نصرت، فلا تمنعهم النصر بسبب محمود إن كان غير مستحق للنصر».

في دمشق :

أنشأ المدارس السنية وركز اهتمامه بالمذهبين الحنفي والشافعي. فأنشأ للحنفية المدرسة النورية الكبرى والمدرسة النورية الصغرى. كما أنشأ المدارس للمذهبين المالكي والحنبلي و بنى أول وأكبر دار للحديث ووكل أمرها إلى الحافظ الكبير ابن عساكر و بنى دوراً للأيتام لتخريج العلماء وخصص لها الأوقاف الكثيرة.

قتاله للصليبين :

استهل نور الدين حكمه في سوريا بالقيام ببعض الهجمات على إمارة أنطاكية الصليبية، واستولى على عدة قلاع في شمال الشام ومنطقة الساحل السوري، ثم قضى على محاولة "جوسلين الثاني" لاستعادة الرها التي فتحها عماد الدين زنكي وكانت هزيمة الصليبيين في الرها أشد من هزيمتهم الأولى، وعاقب نور الدين من خان المسلمين من أرمن الرها، وخاف بقية أهل البلد من المسيحيين على أنفسهم فغادروها.

وكان نور الدين دائم السعي إلى استمالة القوى الإسلامية المتعددة في الشام وشمال العراق وكسب ودها وصداقتها؛ لتستطيع مواجهة العدو الصليبي، فعقد معاهدة مع معين الدين أنر حاكم دمشق سنة (٥٤١هـ - ١١٤٧م) وتزوج ابنته، فلما تعرض أنر لخطر الصليبيين

وكانت تربطه بهم معاهدة وحلف لم يجد غير نور الدين يستجير به، فخرج إليه، وسارا معا صاحب دمشق ونور الدين واستوليا على بصرى وصرخند في جنوب سوريا قبل أن يقعا في يد الصليبيين، ثم غادر نور الدين دمشق؛ حتى يبعث في قلب حاكمها الأمان، وأنه لا يفكر إلا في القضاء على الصليبيين؛ فتوجه إلى حصون إمارة إنطاكية، واستولى على أرتاح وكفر لاثا وبصرفوت وغيرها .

وعلى أثر ذلك ملك الرعب قلوب الصليبيين من نور الدين، وأدركوا أنهم أمام رجل لا يقل كفاءة وقدرة عن أبيه عماد الدين، وكانوا قد ظنوا أنهم قد استراحوا بموته، لكن أملهم تبدد أمام حماسة ابنه وشجاعته، وكانت سنه إذ ذاك تسعاً وعشرين سنة، لكنه أوتي من الحكمة والتدبير خيراً كثيراً.

وفي سنة (٥٤٢هـ - ١١٤٧م) وصلت الحملة الصليبية الثانية على الشام بزعامة لويس السابع وكونراد الثالث، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها ، وعجزت عن احتلال دمشق أهم مدن الشام ، ويرجع الفضل في ذلك لصبر المجاهدين واجتماع كلمة جيش المسلمين ووحدة صفهم، وكان للقوات التي جاءت مع سيف الدين غازي وأخيه نور الدين أكبر الأثر في فشل تلك الحملة، واستغل نور الدين هذه النكبة التي حلّت بالصليبيين وضياع هيبتهم للهجوم على أنطاكية بعد أن

ازداد نفوذه في الشام، فهاجم في سنة (٥٤٤هـ=١١٤٩م) الإقليم المحيط بقلعة حارم الواقعة على الضفة الشرقية لنهر العاصي ، ثم حاصر قلعة إنب، فنهض "ريموند دي بواتيه" صاحب أنطاكية لنجدتها، والتقى الفريقان في (٢١ من صفر ٥٤٤هـ= آخر يونيو ١١٤٩م) ونجح المسلمون في تحقيق النصر وكان من جملة القتلى صاحب إنطاكية وغيره من قادة الفرنج.

نور الدين في دمشق :

آمن نور الدين بضرورة وحدة الصف، وانتظام القوى الإسلامية المبعثرة بين الفرات والبحر تقف كالبنيان المرصوص أمام أطماع الصليبيين، وكانت دمشق أهم المدن وعزم نور الدين على ضمها وكان معين الدين أنر صاحب السلطة الفعلية في دمشق يرتبط بعلاقات ومعاهدات مع الصليبيين ، وبعد وفاته قام مجير الدين أبق باستلام الحكم بدمشق ، ونظراً لأهمية دمشق وموقعها المهم في وسط بلاد الشام فقد تمسك بها الصليبيون وخصصوا لها حامية كبيرة للدفاع عنها . فكر نور الدين وعينه على دمشق ووضع الخطة تلو الأخرى لمهاجمة الصليبين واستعادة دمشق .

ونجح نور الدين في دخول دمشق سنة (٥٤٩هـ - ١١٥٤م) بعد عدة مواجهات مع الصليبين اللذين دافعوا بشراسة عن أهم معاقلهم

في الشرق وكانت هذه الخطوة حاسمة في تاريخ الحروب الصليبية؛ حيث توحدت بلاد الشام تحت زعامة نور الدين: من الرها شمالا حتى حوران جنوبا، واتزنت الجبهة الإسلامية مع الجبهة الصليبية بعد أن ضم نور الدين دمشق وأصبحت عاصمة الدولة وغدت موحدة بلاد الشام من الشمال إلى الجنوب والشرق واستقر نور الدين زنكي وانطلق منها لفتح مزيد من البلاد في الجنوب وتوسيع ملكه .

الطريق إلى مصر :

بعد نجاح نور الدين في ضم دمشق وأصبحت عاصمة دولته ومنطلق الحكم وأصبح ملك دمشق وموحد الشام لم يعد أمام الصليبيين للغزو والتوسع سوى طريق الجنوب بعد أن أحكم نور الدين سيطرته على بلاد الشام؛ ولذا تطلع الصليبيون إلى مصر باعتبارها الميدان الجديد لتوسعهم، وشجعهم على ذلك أن الدولة الفاطمية في مصر تعاني الضعف فاستولوا على عسقلان ، وكان ذلك إيذاناً بمحاولتهم غزو مصر، مستغلين الفوضى في البلاد، وتحولت نياتهم إلى عزم حيث قام "بلدوين الثالث" ملك بيت المقدس بغزو مصر سنة (٥٥٨هـ = ١١٦٣م) محتجاً بعدم التزام الفاطميين بدفع الجزية له، غير أن حملته فشلت وأجبر على الانسحاب.

وأثارت هذه الخطوة الجريئة مخاوف نور الدين، فأسرع بشن حملات على الصليبيين في الشام حتى يشغلهم عن الاستعداد لغزو مصر، ودخل في سباق مع الزمن للفوز بمصر وضمها لملكة في الشام، فأرسل عدة حملات من دمشق تحت قيادة "أسد الدين شيركوه" وبصحبته ابن أخيه الشاب اليافع صلاح الدين الأيوبي، ابتدأت من سنة (٥٥٩هـ - ١١٦٤م) واستمرت نحو خمس سنوات وفشلت عدة مرات بسبب خيانة صاحب مصر وتعاونه مع الصليبين والفساد المتفشي ولكن أسد الدين لم يتراجع ففي كل مرة كان يعيد تجهيز جيشه وينطلق من جديد بأوامر نور الدين في دمشق حتى نجحت بعد سباق محموم مع الصليبيين في الظفر بمصر- سنة (٥٦٤هـ - ١١٦٩م) وتولى شيركوه الوزارة للخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين، على أنه لم يلبث أن توفي فعيّن نور الدين زنكي ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي وزيراً على مصر وضمها لملكه في الشام.

نجح صلاح الدين الأيوبي في إقامة الأمن واستتباب الأمور وتثبيت أقدامه في البلاد، وجاءت الفرصة المناسبة لإسقاط دولة الفاطميين؛ فقطع الدعاء للخليفة الفاطمي ودعا للخليفة العباسي في أول جمعة من سنة (٥٦٧هـ = سبتمبر ١١٧١م). وبنجاح نور الدين في

ضم مصر إلى جبهة الكفاح يكون قد حقق الحلقة الأخيرة من حلقات الجبهة الإسلامية .

وفاته :

فاجأته الحمى واشتد به المرض في ١١ شوال ٥٦٩هـ ١٥ مايو ١١٧٤ وهو في التاسعة والخمسين من عمره وتوفى ودفن في دمشق .

عبد الرحمن السميط (خادم فقراء أفريقيا):

قبل أن يصبح عبد الرحمن السميط أحد فرسان العمل الخيري، كان طبيباً متخصصاً في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي، لم يكن طبيبا عاديا، بل طبيبا فوق العادة، إذ بعد أن ينتهي من عمله المهني، كان يتفقد أحوال المرضى، في أجنحة مستشفى الصباح (أشهر مستشفيات الكويت)، ويسألهم عن ظروفهم وأحوالهم الأسرية والاجتماعية والاقتصادية، ويسعى في قضاء حوائجهم، ويطمئنهم على حالاتهم الصحية .

واستمرت معه عادته وحرصه على الوقوف إلى جانب المعوزين وأصحاب الحاجة، حينما شعر صاحبها بخطر المجاعة يهدد المسلمين في أفريقيا، وأدرك خطورة حملات التنصير التي تجتاح صفوف فقرائهم في أدغال القارة السوداء، وعلى إثر ذلك آثر أن يترك عمله الطبي طواعية، ليجسد مشروعا خيرياً رائداً في مواجهة غول الفقر وخطر التنصير، واستقطب معه فريقاً من المخلصين، الذين انخرطوا في تدشين هذا المشروع الإنساني، الذي تتمثل معالمه في مداواة المرضى، وتضميد جراح المنكوبين، ومواساة الفقراء والمحتاجين، والمسح على رأس اليتيم، وإطعام الجائعين، وإغاثة الملهوفين .

دراسته:

تخرج في جامعة بغداد بعد أن حصل على بكالوريوس الطب والجراحة، وفي الجامعة كان يخصص الجزء الأكبر من مصروفه لشراء الكتيبات الإسلامية ليقوم بتوزيعها على المساجد، وعندما حصل على منحة دراسية قدرها ٤٢ دينارًا كان لا يأكل إلا وجبة واحدة وكان يستكثر على نفسه أن ينام على سرير رغم أن ثمنه لا يتجاوز دينارين معتبراً ذلك نوعا من الرفاهية .

حصل على دبلوم أمراض مناطق حارة من جامعة ليفربول عام ١٩٧٤م، واستكمل دراساته العليا في جامعة ماكجل الكندية متخصصًا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي، وأثناء دراساته العليا في الغرب كان يجمع من كل طالب مسلم دولارًا شهريا ثم يقوم بطباعة الكتيبات ويقوم بتوصيلها إلى جنوب شرق آسيا وأفريقيا وغير ذلك من أعمال البر والتقوى .

حياة حافلة بالإنجازات :

عمل إخصائيا في مستشفى الصباح في الفترة من ١٩٨٠-١٩٨٣م، ونشر العديد من الأبحاث العلمية والطبية في مجال القولون والفحص بالمنظار لأورام السرطان، كما أصدر أربعة كتب هي: لبيك أفريقيا، دمعة على أفريقيا، رسالة إلى ولدي، العرب والمسلمون في مدغشقر،

إضافة إلى العديد من البحوث وأوراق العمل ومئات المقالات التي نشرت في صحف متنوعة، تولى منصب أمين عام جمعية مسلمي أفريقيا عام ١٩٨١م، وما زال على رأس الجمعية بعد أن تغير اسمها إلى جمعية العون المباشر في ١٩٩٩م.

شارك في تأسيس ورئاسة جمعية الأطباء المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ١٩٧٦م. كما شارك في تأسيس فروع جمعية الطلبة المسلمين في مونتريال ١٩٧٦م، ولجنة مسلمي ملاوي في الكويت عام ١٩٨٠م، واللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة ١٩٨٧م، وهو عضو مؤسس في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وعضو مؤسس في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وعضو في جمعية النجاة الخيرية الكويتية، وعضو جمعية الهلال الأحمر الكويتي، ورئيس تحرير مجلة الكوثر المتخصصة في الشأن الأفريقي، وعضو مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية في السودان، وعضو مجلس أمناء جامعة العلوم والتكنولوجيا في اليمن، ورئيس مجلس إدارة كلية التربية في زنجبار ورئيس مجلس إدارة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في كينيا .

نال السميط عدداً من الأوسمة والجوائز والدروع والشهادات التقديرية، مكافأة له على جهوده في الأعمال الخيرية، ومن أرفع هذه الجوائز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، والتي تبرع

بمكافأتها (٧٥٠ ألف ريال سعودي) لتكون نواة للوقف التعليمي لأبناء أفريقيا، ومن عائد هذا الوقف تلقت أعداد كبيرة من أبناء أفريقيا تعليمها في الجامعات المختلفة .

في أفريقيا:

تركز جل نشاط السميط من خلال لجنة مسلمي أفريقيا بعد أن وضعت أجندة خيرية تنطلق في مسارات عدة منها: من أجل أن تمسح دمعة يتيم مسلم، من أجل رعاية قرية مسلمة تعليمياً أو صحياً أو اجتماعياً، من أجل حفر أو صيانة بئر مياه للشرب، من أجل بناء أو صيانة مدرسة، من أجل رعاية الآلاف من المتشردين، من أجل مواجهة الخطر التنصيري الزاحف، من أجل استمرارية العمل الخيري الإسلامي. وكان اهتمامه بأفريقيا بعد أن أكدت دراسات ميدانية للجنة أن ملايين المسلمين في القارة السوداء لا يعرفون عن الإسلام إلا خرافات وأساطير لا أساس لها من الصحة، ومن ثم فغالبيتهم –خاصة أطفالهم في المدارس– عرضة لخطر التنصير، وقد نتج عن ذلك أن عشرات الآلاف في تنزانيا وملاوي ومدغشقر وجنوب السودان وكينيا والنيجر وغيرها من الدول الأفريقية صاروا ينتسبون إلى النصرانية، بينما آباؤهم وأمهاتهم من المسلمين .

قصة دخوله أفريقيا :

السميط من المؤمنين بأن الإسلام سبق جميع النظريات والحضارات والمدنيات في العمل التطوعي الاجتماعي والإنساني، وتعود قصة ولعه بالعمل في أفريقيا حين عاد إلى الكويت في أعقاب استكمال دراساته العليا، حيث كان مسكونا بطاقة خيرية هائلة أراد تفجيرها فذهب إلى وزارة الأوقاف وعرض على المسئولين رغبته في التطوع للمشاركة في الأعمال الخيرية، غير أن البيروقراطية الرسمية كادت أن تحبطه وتقتل حماسه، لكن الله شاء له أن يسافر إلى أفريقيا لبناء مسجد لإحدى المحسنات الكويتيات في ملاوي، فيرى ملايين البشر يقتلهم الجوع والفقر والجهل والتخلف والمرض، ويشاهد وقوع المسلمين تحت وطأة المنصرين الذين يقدمون إليهم الفتات والتعليم لأبنائهم في مدارسهم التنصيرية، ومن ثم فقد وقع حب هذه البقعة في قلبه ووجدانه وسيطرت على تفكيره .

وكان أكثر ما يؤثر في السميط إلى حد البكاء حينما يذهب إلى منطقة ويدخل بعض أبنائها في الإسلام ثم يصرخون ويبكون على آبائهم وأمهاتهم الذين ماتوا على غير الإسلام، وهم يسألون: أين أنتم يا مسلمون؟ ولماذا تأخرتم عنا كل هذه السنين؟ كانت هذه الكلمات

تجعله يبكي بمرارة، ويشعر بجزء من المسئولية تجاه هؤلاء الذين ماتوا على الكفر .

تعرض في أفريقيا للاغتيال مرات عديدة من قبل المليشيات المسلحة بسبب حضوره الطاغي في أوساط الفقراء والمحتاجين، كما حاصرته أفعى الكوبرا في موزمبيق وكينيا وملاوي غير مرة لكن الله نجاه .

التنصير أبرز التحديات :

وعن أبرز التحديات التي تواجه المسلمين في أفريقيا يقول الدكتور عبد الرحمن: ما زال التنصير هو سيد الموقف، مشيرا إلى ما ذكره د. دافيد بارت خبير الإحصاء في العمل التنصيري بالولايات المتحدة من أن عدد المنصرين العاملين الآن في هيئات ولجان تنصيرية يزيدون على أكثر من ٥١ مليون منصر، ويبلغ عدد الطوائف النصرانية في العالم اليوم ٣٥ ألف طائفة، ويملك العاملون في هذا المجال ٣٦٥ ألف جهاز كمبيوتر لمتابعة الأعمال التي تقدمها الهيئات التنصيرية ولجانها العاملة، ويملكون أسطولا جويا لا يقل عن ٣٦٠ طائرة تحمل المعونات والمواد التي يوزعونها والكتب التي تطير إلى مختلف أرجاء المعمورة بمعدل طائرة كل أربع دقائق على مدار الساعة، ويبلغ عدد الإذاعات التي يملكونها وتبث برامجها يوميا أكثر من ٤٠٥٠ إذاعة وتليفزيون، وأن

حجم الأموال التي جمعت العام الماضي لأغراض الكنيسة تزيد على ٣٠٠ مليار دولار، وحظ أفريقيا من النشاط التنصيري هو الأوفر ...

ومن أمثلة تبرعات غير المسلمين للنشاط التنصيري كما يرصدها د. السميط أن تبرعات صاحب شركة مايكروسوفت بلغت في عام واحد تقريبا مليار دولار، ورجل أعمال هولندي تبرع بمبلغ ١١٤ مليون دولار دفعة واحدة وقيل بأن هذا المبلغ كان كل ما يملكه، وفي أحد الاحتفالات التي أقامها أحد داعمي العمل التنصيري في نيويورك قرر أن يوزع نسخة من الإنجيل على كل بيت في العالم وكانت تكلفة فكرته ٣٠٠ مليون دولار حتى ينفذها، ولم تمر ليلة واحدة حتى كان حصيلة ما جمعه أكثر من ٤١ مليون دولار .

حصيلة مشاريع العون المباشر :

وكانت حصيلة المشاريع التي نفذت في أفريقيا -كما يذكر د. السميط -حتى أواخر عام ٢٠٠٢م: بناء ١٢٠٠ مسجد، دفع رواتب ٣٢٨٨ داعية ومعلماً شهرياً، رعاية ٩٥٠٠ يتيم، حفر ٢٧٥٠ بئراً ارتوازية ومئات الآبار السطحية في مناطق الجفاف التي يسكنها المسلمون، بناء ١٢٤ مستشفى ومستوصفاً، توزيع ١٦٠ ألف طن من الأغذية والأدوية والملابس، توزيع أكثر من ٥١ مليون نسخة من المصحف، طبع وتوزيع ٦٠٥ ملايين كتيب إسلامي بلغات أفريقية

مختلفة، بناء وتشغيل ١٠٢ مركز إسلامي متكامل، عقد ١٤٥٠ دورة للمعلمين وأئمة المساجد، دفع رسوم الدراسة عن ٩٥ ألف طالب مسلم فقير، تنفيذ وتسيير عدة مشاريع زراعية على مساحة ١٠ ملايين متر مربع، بناء وتشغيل ٢٠٠ مركز لتدريب النساء، تنفيذ عدد من السدود المائية في مناطق الجفاف، إقامة عدد من المخيمات الطبية ومخيمات العيون للمحتاجين مجانا للتخفيف على الموارد الصحية القليلة في إطار برنامج مكافحة العمى، تقديم أكثر من ٢٠٠ منحة دراسية للدراسات العليا في الدول الغربية (تخصصات طب، هندسة، تكنولوجيا).

وأشار السميط إلى أنه لم تؤثر حملة ما يسمى الحرب العالمية على الإرهاب على العمل الخيري في أفريقيا مقارنة بالضغوط التي مورست على الهيئات الخيرية العاملة في جنوب شرق آسيا خاصة في أفغانستان وباكستان والجمهوريات الإسلامية المستقلة، يقول: "الضغوط التي تمارس ضد العمل الخيري ومنظماته هي جزء من مخطط كبير ضد الإسلام والمسلمين، ويجب أن نعمل ولا نتأثر بهذه الحملات، المهم أن نعمل عملا مدروسا ومؤسسيا، له كوادره ومتخصصوه، وقد دعوت جامعة الكويت والجامعات الخليجية إلى تدريس مادة إدارة العمل الخيري إلى أبنائنا لسد العجز في الكوادر المتخصصة التي تحتاجها

الجمعيات الخيرية، خاصة أنها في حاجة ماسة إلى أفراد مدربين ومعدين إعدادا جيدا، يمكنهم الولوج في العمل الإداري على أسسه العلمية الصحيحة.

زكاة أثرياء المسلمين:

ويرى د. السميط أن زكاة أموال أثرياء العرب تكفي لسد حاجة ٢٥٠ مليون مسلم؛ إذ يبلغ حجم الأموال المستثمرة داخل وخارج البلاد العربية ٢٢٧٥ مليار دولار أمريكي، ولو أخرج هؤلاء الأغنياء الزكاة عن أموالهم لبلغت ٥٦.٨٧٥ مليار دولار، ولو افترضنا أن عدد فقراء المسلمين في العالم كله يبلغ ٢٥٠ مليون فقير لكان نصيب كل فقير منهم ٢٢٧ دولارا، وهو مبلغ كاف لبدء الفقير في عمل منتج يمكن أن يعيش على دخله. (١)

وهكذا كان عبد الرحمن السميط رجلاً بأمة ،اطعم الآلاف ،وعلم الآلاف وادخل في الإسلام الآلاف بل الملايين فلله دره من رجل .

(١) موقع لبيك أفريقيا .

الشيخ الشهيد أحمد ياسين(١٩٣٨- ٢٠٠٤م):

الشهيد البطل أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس، زعيم الانتفاضة المباركة، استطاع وهو القعيد المشلول أن يضرب أروع الأمثلة فى البناء والجهاد والتضحية، وأخرج القضية الفلسطينية من أضابير الملفات والغرف المغلقة الباردة داخل ساحات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية إلى ساحات الوغى، وبات العدو الصهيوني في حالة هستيرية من عمليات المقاومة الشجاعة لحركات المقاومة الفلسطينية المجاهدة.

قساوة الحياة مبتدؤه :

هذا هو الشيخ أحمد إسماعيل ياسين الذي ولد في جورة عسقلان قضاء المجدل عام ١٩٣٨م، ليعيش بعدها فترة من شظف العيش وقسوته؛ فقد مات والده وهو ابن خمس سنين، واضطر إلى اللجوء إلى قطاع غزة عقب هزيمة عام ١٩٤٨م وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره، واقتات هو وأهله ما كان يتبقى من معسكرات الجيش المصري هناك، ثم كانت ثالثة الأثافي في عام ١٩٥٢م حين تعرض لحادثة وهو ابن الرابعة عشرة أثناء ممارسته الرياضة مع بعض أقرانه؛ حيث أصيب بكسر في فقرات العنق، نتج عنه شلل جميع أطرافه شللا تامًّا؛ ليعرف حينها أنه سيبقى رهين الكرسي طوال حياته.

إرادة الفعل منتصفه :

كان ما أصاب الشيخ ياسين وهو في سنه الصغيرة تلك كفيلا بأن يقضي على حياة أي إنسانٍ؛ ليموت وهو ما زال حيًّا، لكن الشيخ لم يكن من ذلك النوع المستسلم اليائس؛ إذ سرعان ما أكمل تعليمه الثانوي في العام الدراسي ٥٧/ ١٩٥٨م، ثم نجح في الحصول على فرصة عمل رغم الاعتراض على حالته الصحية؛ فعمل مدرسًا للغة العربية والتربية الإسلامية، ثم خطيبًا في مساجد غزة، وأصبح في ظل الاحتلال أشهر خطيب عرفه قطاع غزة لقوة حجته وجسارته في الحق، وانتمى إلى الإخوان المسلمين فكرًا وتنظيمًا.

وبعد هزيمة ١٩٦٧م استمر الشيخ أحمد ياسين رغم الاحتلال في إلهاب مشاعر المصلين من فوق منبر مسجد العباسي الذي كان يخطب فيه، ونشط كذلك في جمع التبرعات ومعاونة أسر الشهداء والمعتقلين، ثم أسس المجمع الإسلامي في غزة عام ١٩٧٣م، وبقي رئيسًا له حتى عام ١٩٨٤م.

وفي عام ١٩٨٣ أُعتقل الشيخ أحمد ياسين بتهمة حيازة أسلحة، وتشكيل تنظيم عسكري، والتحريض على إزالة الدولة العبرية من الوجود، وقد حوكم الشيخ أمام محكمة عسكرية صهيونية أصدرت عليه حكمًا بالسجن لمدة ١٣ عامًا، ثم ما لبث أن أفرج عنه عام ١٩٨٥م

في إطار عملية تبادل للأسرى بين سلطات الاحتلال والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة، بعد أن أمضى ١١ شهرًا في السجن.

ثم أسس الشيخ أحمد ياسين مع مجموعة من النشطاء الإسلاميين الذين يعتنقون أفكار الإخوان المسلمين تنظيمًا لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" في قطاع غزة عام ١٩٨٧م، وكان هدف هذا التنظيم مقاومة الاحتلال الإسرائيلي بغية تحرير فلسطين.. كل فلسطين، وكان له دورٌ مهمٌّ في الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت في ديسمبر من العام نفسه، والتي اشتهرت بانتفاضة المساجد، ومنذ ذلك الوقت والشيخ ياسين يُعتبر الزعيم الروحي لتلك الحركة.

ومع تصاعد حملات المقاومة الفلسطينية ازدادت ملاحقة إسرائيل للشيخ ياسين؛ فقاموا في عام ١٩٨٨م بتفتيش بيته، وهددته بدفعه بكرسيه المتحرك عبر الحدود، ونفيه إلى لبنان، ثم قامت في ١٩٨٩م باعتقاله مع المئات من أعضاء حماس، وفي ١٩٩١م أصدرت المحكمة الإسرائيلية عليه حكمًا بالسجن مدى الحياة مضافًا إليه ١٥ عامًا، ولبث في السجن بضع سنين حتى تم الإفراج عنه عام ١٩٩٧م بموجب اتفاق جرى التوصل إليه بين الأردن وإسرائيل للإفراج عن الشيخ مقابل تسليم عميلين صهيونيين اعتقلا في الأردن عقب محاولة

الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها الأستاذ خالد مشعل رئيس المكتب السياسي في حركة حماس.

وقد استمرت محاولات إسرائيل لاغتيال الشيخ التي كان آخرها في ٢٠٠٣م حين استهدفت مروحيات إسرائيلية شقةً في غزة كان يوجد بها الشيخ، وكان يرافقه الأستاذ إسماعيل هنية، أصيب الشيخ على إثرها بجروح طفيفة في ذراعه اليمنى.

الإيمان كلماته :

- «السر يكمن في الإرادة، وإيمان الإنسان بالمبدأ الذي يسير عليه؛ فالدنيوي يقول: لو أن الدنيا ذهبت منه فقد خسر كلَّ شيء، لكن الإنسان المؤمن الذي يؤمن أنه ذاهب إلى جنة عرضها السماوات والأرض يريد أن ينتقل من دنيا فانية إلى الراحة والطمأنينة والاستقرار عند رب العالمين؛ فهو ينتظر هذا اليوم، ويستبسل ويقاتل من أجل الفوز في هذا اليوم، ويثبت في الميدان حتى آخر رمق في حياته».

- «إن من مظاهر وعلامات السلامة أن تشعر الأمة بقلق إزاء قضية فلسطين، قضية الأمة، ولكن المقاومة مستمرة، وفي كل يوم هناك عمليات وشهداء وتضحيات، أما قضية السور فهي هامشية».

- «أؤكد لكم أن الله غالب على أمره، وأن ثقتنا في الله أولا، ثم في شعوب أمتنا المسلمة، الشعوب المؤمنة كبيرة وعالية، وأننا بفضل الله ثم بدعائكم ودعمكم سننتصر، وسيجعل الله لنا ولكم بعد عسر يسرًا».

- «هؤلاء المهرولون الذين انتصروا لمعصية الله لا يصلحون أن يدافعوا عن قضايا الأمة، وأن يقفوا في وجه الأعداء، وسيلفظهم التاريخ كما لفظ من قبلهم، والأيام دول، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]؛ فهؤلاء مفسدون لا بقاء لهم في سجل الخالدين لا أحياء ولا أموات».

«أؤكد لكم أن الشعوب أقوى من الأنظمة؛ فالشعوب تتحرك في هذه الأيام على عكس ما ترى تلك الأنظمة وما يخطط له العدو؛ فسينتصر الإسلام، وسيهزم المشروع الأمريكي الصهيوني على فلسطين بإذن الله، خاصة أن مبشرات النصر قائمة يرسمها شعبنا كل يوم بثباته وتضحياته ومقاومته التي فرضت موازين الردع والرعب مع هذا العدو الذي ظن أنه لا يقهر، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

الشهادة خاتمته :

في فجر يوم الاثنين غرة صفر ١٤٢٥هـ الموافق ٢٢ من مارس ٢٠٠٤م شاء الله تعالى أن يحقق للشيخ ما تمناه منذ سنين؛ حيث لقي الشيخ أحمد ياسين ربه شهيدًا بعد أدائه صلاة الفجر في المسجد، إثر غارةٍ صاروخية إسرائيلية اغتالته هو و٨ من الفلسطينيين أمام المسجد؛ لتنتهي قصة أنفاس هذا الرجل، ولتبدأ قصة جيلٍ بناه وأسسه ورباه الشيخ بدمه وبقلبه وبعقله وبإيمانه، وهذا كل ما كان قد تبقى له بعد شلل جسمه وأطرافه.

قال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي مرة: «أنا لم أرَ إنسانًا في حياتي فوَّض أمره إلى الله كالشيخ أحمد ياسين».

فوض أمره لربه سبحانه في قسوة حياته حيث ولد ونشأ، وفي الشلل حيث سلبه ريعان شبابه، وفي جهاده واعتقاله ومحاولات اغتياله، وأخيرًا في شهادته التي لقي الله تعالى بها.

إنه القعيد الذي أقام العالم ولم يزل.. إنه الشيخ أحمد إسماعيل ياسين رحمه الله تعالى.

الشهيد البطل انتصر بشهادته على ترسانات الأسلحة الإسرائيلية والأمريكية ووقف العالم اجمع يتابع ويشاهد صمود الطفل و المرأة والشيخ الفلسطيني أمام عمليات الهدم والجرف و الإبادة الجماعية

للحرث والنسل والأرض، ولقد وقف الطفل الفلسطيني أمام الدبابة الإسرائيلية وقذفها بحجر وأثبت أنه أقوى من كل الجيوش العربية التى تخلت عن الدفاع عن الأوطان والمقدسات إلى الدفاع عن القصور والحكام والأنظمة.

الشهيد البطل القعيد استطاع أن يحفر في وجدان الأمة أن الجهاد فى سبيل الله هو السبيل للخلاص من المستعمر الغاصب، بعيداً عن خيانات كامب ديفيد ومدريد وأوسلو وخطط خارطة الطريق، والشرق الأوسط الكبير، والخطط القادمة، وأن الشعوب قادرة على مواجهة المحتل مهما تعاظمت أسباب قوته من أسلحة محرمة دولياً وطائرات تقصف المدنيين العزل بالصواريخ، وأن بقاء العدو في حالة تأهب مستمر يفقده قدرته على الصمود والتحدي، وأن السلاح لن يفيد دائماً بقاء الاحتلال، وما دام الشعب قادراً على المواجهة والجهاد ومؤمنا بعدالة قضيته فلن يهزم أبدا.

الشهيد البطل كان يملك من أسباب الأعذار ما يجعله يعيش في أي مكان من العالم معززاً مكرماً، وهو القعيد المشلول غير المكلف شرعا بالجهاد لكنه أبى إلا أن يكون مجاهداً في الميدان، وطلب من الله الشهادة فنالها فارسا مغوارا ولم يضعف أمام محاولات الزعزعة وتهديد حياته من

قبل قوى الاحتلال الصهيوني الغاصب وفشل محاولات سابقة لاغتياله فأصر أن يكون شهيداً في الميدان.

رحم الله الشهيد ورزقنا وإياه الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]

مهندس مسلم يسلم على يديه أربعة آلاف في الغرب[1]:

وأنتقل إلى صورة أخرى بعيدة في زمانها ومكانها، وفي طبيعتها وشأنها، إنها صورة المهندس محمد توفيق بن احمد مؤسس دار تبليغ الإسلام» أثناء إقامته في سويسرا في بعثة هندسية (١٩٢٩-١٩٣١م)، وهو اسم معنوي كان يعمل من ورائه، وكان يراسل الصحف الأوروبية ليرد على المقالات التي تنشر لتشوه الإسلام باسم "محمد توفيق - محرر جريدة التقوى بالقاهرة"، وكان يتلقى العديد من الرسائل من القراء التي تسأل عن الإسلام. يقول عن تلك الفترة: «وكنت أتسلم الكثير من الرسائل على المنزل الذي كنت أسكن فيه، وبالطبع كنت أرد عليها، وفي كل مكان كنت أتواجد فيه أجد كثيراً من الأسئلة المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وكانت صورة الإسلام مشوهة من أعداء الإسلام والمستشرقين ومن حَسَني النية الذين يصدقون كل ما يقرءون؛ فيعتقدون أن الإسلام بهذه الصورة.

عاش في هذه الدولة الأوروبية في أوائل القرن الماضي، وأسس مجلة سماها: (بريد الإسلام) عام (١٩٢٩م)، وفرغ نفسه لتصحيح صورة الإسلام في بلاد الغرب، ومراسلة القوم مراسلة متصلة أفضت في جملة جهوده إلى أن أسلم على يده نحو أربعة آلاف نفس.

---

(١) انظر صلاح الأمة في علو الهمة،سيد العفاني ،(١١٥-١٢٢)

كان في بعض طرقات تلك البلد لوحات صغيرة تعلق، مكتوب عليها: لقد عرفت خطأً عن الإسلام، فإذا أردت أن تعرف الحقيقة فراسل هذا العنوان، فستأتيك الكتب والتعريفات، فتأتيه المراسلات ويراسل ويرد ويجيب ويعيد ويزيد، حتى يكون من ذلك إما إسلام، وإما معرفة حقة للإسلام وبعد عن الصورة المغلوطة والحقد الأسود.

وفي تجربته حصل أن بعض المراسلات استمرت سبعة عشر عاماً، أخبر فيها: أن رجلاً من تشيكوسلوفاكيا كان يراسله على مدى سبعة عشر عاماً، ثم زاره بعدها، وعندما لقيه قال له: إن لي عندك مفاجأة، فقال: وما هي؟ فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ففرح بذلك فرحاً عظيماً.

وأي جهد هذا الذي يبذله عندما كان يكتب، لكنه يقول: إنه راسل نحو مائة ألف شخص عبر هذه المدة الطويلة، ومن لطائف ما ذكر من القصص: أنه كان يراسل رجلاً ألمانياً، وفي هذه المراسلات ذكر له: أن رسول الله ﷺ عندما دعا إلى الإسلام كان أول من أسلم على يديه من الصبية والصغار: علي بن أبي طالب، ومن الرجال: أبو بكر الصديق، ومن النساء: خديجة رضي الله عنها، وعندما راسله وطالت المراسلات كان له ابن يطلع على بعض هذه المراسلات، وعندها قرر الأب أن يسلم،

وأعلن إسلامه في مراسلته، فأرسل له هذا المهندس يهنئه ويرسل له شهادة بإسلامه، وحينئذ راسل الصبي مرة أخرى، وقال: إني أريد أن ترسل شهادة باسمي حتى أوقعها، فأرسل إليه: إنك صغير حتى تكبر وتتعرف على حقائق الإسلام، فأعاد إليه الرسالة: وهل طلب محمد ﷺ من علي بن أبي طالب أن يستأني ويتريث حتى يكبر ثم يدخل في الإسلام؟! فأرسل إليه بما أراد.

وذكر قصة عن صيدلي وامرأة من الديانة الكاثوليكية المسيحية، فراسلهما وقتاً طويلاً، ثم طلبا منه أن يحضر إليهما، فأعطاهما سمته وشكله حتى يعرفاه، وعند محطة القطار ذهب معهما إلى البيت، فكان أول سؤال عند دخوله: هل أنت متوضئ؟ فأجاب بنعم، فقالا: ونحن متوضئان، فصلِّ بنا، وذلك في أول صلاة لهما.

وفي خلال رحلته الطويلة في الدعوة إلى الإسلام بالمراسلة بمعظم لغات العالم الحي، بلَّغ دعوته إلى مائة ألف من الأجانب، قبلها منهم أربعة آلاف أسلموا بفضل الله، وبفضل احتشاد ذلك الرجل"الفرد" لتلك المهمة الجليلة التي لم يولها الكثيرون اهتمامهم.

وهكذا نجد أن جهداً من فرد واحد يثمر في بيئة غير المسلمين مثل هذه الثمار، ولا يقول أحد إنني أعجز عن مثل هذا، ولكنه تلمح الأجر

وابتغاؤه، فقد قال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[١]، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من دعا إلى هدى فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة»[٢].

وبعد هذه الإطلالة على هذه المواقف الرجولية ..أقول لك أخي القارئ أفليس كل واحد يستطيع أن يصور صفحة من كتاب فيبعثها هنا أو هناك، أو أن يأخذ شريطاً لغيره من أهل العلم والدعوة فيرسله هنا أو هناك، أفلسنا نستطيع أن نكون من هؤلاء الرجال ذوي العلم، و ذوي القدرة على الحجة وإن لم يكن ذلك بأنفسنا فعن طريق هذه الوسائل الكثيرة التي يسرها الله لنا.

تلك صفحات ناصعات تكتب بحروف من نور لتضاف إلى تاريخ الدعوة والدعاة، في فصل الثبات على الحق والمنافحة عن الإسلام في عصر تحتاج فيه الأمة إلى قراءة تاريخها البعيد والقريب لتعلم كيف تكون المواقف والرجال.

وتتوالى الأيام، وتنقضي القرون، ويبقى هذا الدين شامخاً بثوابته التي يذود عنها رجال في كل عصر لا يخافون في الله لومة لائم، يضربون

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٧٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٧/ ٥٨-٥٩) والترمذي (٣٦٢٨) وحسنه والدارمي وأحمد.

الأمثلة بصبرهم، ويكونون القدوة الحسنة لمن بعدهم، ويثبتون للناس أنهم على خطا الرعيل الأول، وأن هذا الدين لا تزال تنبت فيه نابتة من أبنائه، تدلل على عمقه في القلوب، وأثره في النفوس، وأن أمثال العز بن عبد السلام، وسعيد بن جبير والإمام أحمد وابن تيمية يتكررون في كل زمان ومكان، في كل أرض تخفق فيها راية التوحيد وتتردد في جنباتها كلمة (الله أكبر)!!

قبل الوداع

أخي الحبيب :قبل الوداع أقول لك يا فارس الإسلام «**من للإسلام إن لم نكن نحن؟**»

من لهذا الدين الجريح ،يُضمِّد جراحه ،ويكفكف دمعه ،بعد أن ضاعت هيبته بين كيد أعدائه وجحود أبنائه ،إن لم نكن نحن؟!

من لأراضينا التي اغتصبت ،وأعراضنا التي أُنتهكت ،إن لم نكن نحن ؟!

من لأنّات الثكالى ،ولآهات الصبايا ،إن لم نكن نحن؟!

من لأطفال يتامى ،ولأشياخٍ مستضعفين ،إن لم نكن نحن؟!

من لسنة رسول الله ﷺ التي حوربت ،وعرضه الذي حاول الكلاب أن تنهشه في صحفهم وإعلامهم ،فمن لعرضه ﷺ يذب عنه ،إن لم نكن نحن؟!

من لأمتنا التي تعاني قهراً وعسفاً ،وانحطاطاً وتخلفاً ،وانحرافاً وضلالاً ،وفقراً وجوعاً ،إن لم نكن نحن؟!

أخي الحبيب :بالرجولة ينجح الأفراد وتتقدم الأمم.

الرجولة.. غاية كل الآباء لأبنائهم و حلم يراوض كل فتاة تبتغيه في زوج المستقبل.

الرجولة هي بإيجاز هي قوة الخُلُق وخُلُق القوة.

نحن بحاجة إلى رجال...

رجال... و أي رجال ...

رجال يكونون بمستوى سمو هذا الدين ورقيه .

رجال هم مصاحف بشرية تُترجم آيات الذكر الحكيم إلى لحمٍ ودم ،يسير في الدنيا وفق هداية المنهج الرباني .

رجال يحملون على عاتقهم أمانة هذا الدين ،يعيشون همه ،ويُعلون رايته ،ويحيون من أجل نصرته .

رجال ترفعوا عن المال في مواطن الصلاة و ذكر الله.

رجال ترفعوا عن البخل في مواطن العطاء و البذل و الجود.

رجال ترفعوا عن اللهو في مواطن الجد.

قلوبهم تنبض بحب الله و ذكره.

قلوبهم تخشى تقلب القلوب،قلوبهم لا تعرف للنفاق طريق

قلوب ترجو رحمته و تبتغي رضاه،نفوس طاهرة في الظاهر و الباطن.

الأمة بحاجة إلى صانع الرجال:

إنه المربي الذي يأخذ بيدك ويعرفك الطريق ،يربيك بفعله قبل قوله ،وينفعك لحظه قبل لفظه ،يريد لك الخير ويدلُّك عليه ،إن وجدته فقد ظفرت بالكنز ،فهمه إفادتك وسعادته هدايتك،منه تتعلم العلم ،وعلى يديه تحفظ كتاب الله ،وبرفقته تسير إلى الله ،إذا رأى منك خيراًشجعك وكافأك ،وإذا رأى منك تقصيراً نصحك ووجهك ،تبثه شكواك وتفتح له صدرك ،فترى منه إنصاتاً واهتماماً.

جعلنا الله وإياكم منهم وجمعنا وإياكم مع سيد الرجال وإمام الأتقياء محمد المصطفى الأمين وأصحابه الغر الميامين.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

أمير بن محمد المدري

اليمن-عمران

Almadari_1@hotmail.com

المصادر والمراجع

١) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، محمد الخضري بك، ط٤، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، المسمى تفسير أبو السعود ، دار إحياء التراث، بيروت.

٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للقاضي أبي السعود محمد العمادي، ت (٩٥١هـ)، ط١، دار الفكر.

٤) أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ .

٥) الأساس في التفسير، سعيد حوى، ط٢، دار السلام، ١٩٨٩م.

٦) أسد الغابة، ابن الأثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرين، بيروت، دار الفكر، د. ت.

٧) أطفالنا ومعاني الرجولة،للشيخ محمد بن صالح المنجد،دار الوطن.

٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ت (١٣٩٣هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٩) البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت

(٧٤٥هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

١٠) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون، القاهرة، دار الريان، ١٤٠٨ هـ.

١١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، بدون طبعة.

١٢) الترغيب والترهيب، للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق إبراهيم شمس الدين.

١٣) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، بدون طبعة.

١٤) تفسير القرآن العظيم، عماد الدين"أبو الفداء"ابن كثير الدمشقي، ت (٧٧٤هـ)، ط٢ مؤسسة الريان، ١٩٩٦م.

١٥) تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن.

١٦) التفسير الكبير، الفخر الرازي، بيروت، دار التراث العربي، د. ت.

١٧) التفسير المنير في العقيدة والشريعة، وهبة الزحيلي، ط٨، دار الفكر، ٢٠٠٥م.

١٨) التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ط١، دار الفكر المعاصر

١٩) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار

الكتاب اللبناني، بيروت.

٢٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م.

٢١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت (٣١٠هـ)، دار الثقافة العربية.

٢٢) حسن البَنَّا (مواقف في الدعوة والتربية): عباس السيسي. دار القبس للنشر والتوزيع - القاهرة: (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م).

٢٣) حياة العقيدة ورجالها، محمد عبد الحميد أحمد، ط دار الأنصار.

٢٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، دار الفكر.

٢٥) الذكريات، لعلي الطنطاوي، دار المنارة بجدة.

٢٦) رجال أنزل الله فيهم قرآناً، عبد الرحمن عميرة، ط٣، دارالجيل، ١٩٩٤م.

٢٧) سنن ابن ماجه، للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، المكتبة العلمية - بيروت - لبنان، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

٢٨) سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٩) سنن الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، تحقيق أحمد شاكر، و تكملة محمد فؤاد عبدالباقي.

٣٠) السنن الكبرى للبيهقي، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة- بيروت - لبنان.

٣١) السنن الكبرى للنسائي، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي،ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي.

٣٢) سنن النسائي، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار البشائر- بيروت - لبنان، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة.

٣٣) الشيخ عز الدين بن عبدالسلام سلطان العلماء وبائع الأمراء، د. علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ.

٣٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المسمى بالإحسان،مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٥) صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري،

مع فتح الباري للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت لبنان.

٣٦) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

٣٧) صلاح الأمة في علو الهمة،د. سيد حسين العفاني،مؤسسة الرسالة،بيروت.

٣٨) العبادة في الإسلام، الشيخ يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة.

٣٩) العوائق، محمد احمد الراشد – ط دار المنطلق الإمارات العربية المتحدة.

٤٠) فتح البيان في بيان مقاصد القرآن، أبو الطيب صديق، ت (١٣٠٧هـ)، دار إحياء التراث، ١٩٨٩م.

٤١) فتح الرحمن في تفسير القرآن، عبد المنعم أحمد، ط١، دار السلام، ١٩٩٥م.

٤٢) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط١، دار الخير، ١٩٩٢م.

٤٣) الفقه المبسط في المذهب الشافعي، محمد أديب كلكل، ط٤، مكتبة الدعوة، حماة، سوريا.

٤٤) في ظلال العقيدة كلمات وآراء، مكتبة وهبة، القاهرة.

٤٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ط٥، دار الشروق، ١٩٩٦م.

٤٦) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ط دار الفكر، جديدة وموثقة ومصححة.

٤٧) كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين الهندي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٧ مج، ط ٥، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.

٤٨) مجلة المستقبل الإسلامي العدد ١٧٥ ذو القعدة ١٤٢٦هـ.

٤٩) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

٥٠) مسند أحمد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المكتب الإسلامي، ط الخامسة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م

٥١) مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط. ثانية، بيروت/ دمشق، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٥ هـ.

٥٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف طبّارة، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م.

٥٣) معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط العاشرة، ١٤٠٣هـ.

٥٤) المعجم الكبير للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط الثانية، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

٥٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الحديث، ١٩٩٦م.

٥٦) المنطلق، محمد احمد الراشد – ط دار المنطلق الإمارات العربية المتحدة.

٥٧) نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء، تأليف: الإمام الذهبي، تهذيب: محمد حسن عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى.

٥٨) نزهة الفضلاء، سير أعلام النبلاء، للذهبي، تأليف: محمد حسن عقيل موسى، المملكة العربية السعودية، جدة، ١٩٩١ م.

٥٩) نهاية الأرب في فنون الأدب،شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري،دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

٦٠) يا له من دين لو ان له رجال ،فريد مناع ،دار الهدى للنشر والتوزيع ،ط٢، ٢٠٠٨م.

٦١) المحاضرات ١ – من هم الرجال: للشيخ عبد الله الجلالي.

٢ – أختاه هل تريدين السعادة: البوم للشيخ على القرني.

٦٢) المواقع الالكترونية :

http:www.islamweb.net
http:www.ozkorallah.net